الرسول الأسوة محمد صلى الله عليه وسلم

القدس
1429هـ - 2008م

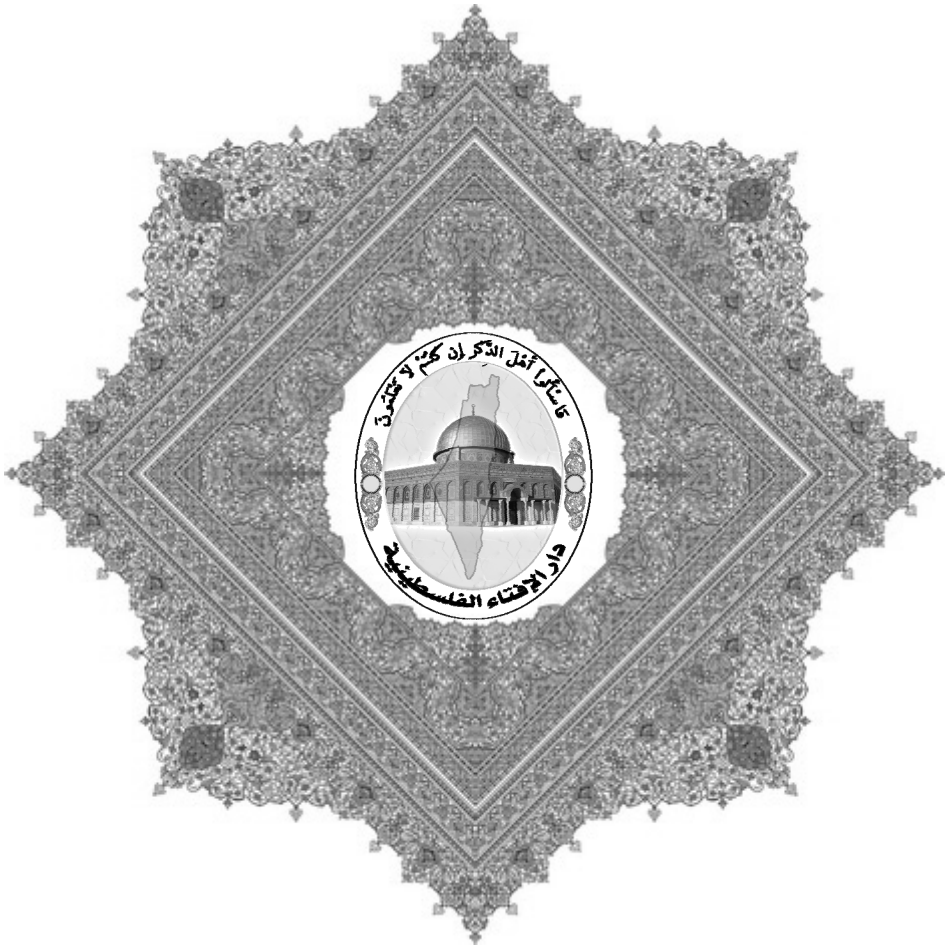

هدية

من إصدارات دار الإفتاء الفلسطينية

إهداء
إلى
الرسول الأسوة
محمد ﷺ
وإلى كل محبيه
والسائرين على
سنته وهديه

شكر وتقدير

تأسياً بسنة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ، الذي كان يعترف لكل ذي فضل بفضله، ويشكر كل محسن على إحسانه، فإنني أنتهز مناسبة بزوغ فجر هذا الإصدار لأتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تحقيقه ، وأخص بالذكر صحيفة القدس والقائمين عليها، حيث نشرت سلسلة حلقات هذا الإصدار على صفحتها الدينية الأسبوعية، كما أشكر الإخوة والأخوات في دار الإفتاء الفلسطينية، الذين كان لهم دور فاعل في تبني مشروع هذا الإصدار، والإسهام بإخراجه في صورته النهائية.

وشكري الجزيل لكل من كان له أي إسهام في ميلاد هذا الإصدار الذي أسأل الله العلي القدير أن يجعله في ميزان حسناتي وإياهم جميعاً .

مقدمة

ها هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم شامخ، فمَنْ في قديم الدنيا وحديثها مثله؟ فهو فارق الدنيا بجسده قبل عشرات القرون، والناس في شتى أصقاع الأرض ما زالوا يتسمون باسمه تحبباً، وملايينهم تسعى حثيثاً لاقتفاء أثره في الشأن كله، انظروا إليهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأوطانهم وألوانهم كيف يتقاطرون، بل يتنافسون، ويبذلون الجهود البدنية والمالية، ويتجشمون مشاق السفر طويله وقصيره بهدف السير على خطاه في الحج، نعم، إنه لموقف عظيم، له من الدلالة ما له، حيث إن الملايين في موسم الحج الواحد ممن فازوا على المنافسين الآخرين، يشاهدون وهم يتلمسون خُطى الرسول، صلى الله عليه وسلم، ويحرصون على اختيار المكان والزمان الذي له صلة بعمله، فيخرجون مثلاً عن بكرة أبيهم لرمي الجمار، في المكان والزمان الذي رمى الرسول، صلى الله عليه وسلم، جماره فيهما، ويفعلون ما يفعلون بغية اقتفاء أثره، صلى الله عليه وسلم، دون أن يجهدوا أنفسهم بعناء البحث العقلي عن مبررات أداء المناسك، ويعبر عن هذا الاستنتاج قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للركن: " أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، استلمك ما استلمتك فاستلمه. ثم قال: فما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله. ثم قال: شيء صنعه النبي، صلى الله عليه وسلم، فلا نحب أن نتركه". (صحيح البخاري، كتاب الحج)

وفي رواية عنه، أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال:" إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم ، يقبلك ما قبلتك". (صحيح البخاري، في الحج)

والمسلمون يحرصون كل الحرص على بذل الجهد في اقتفاء أثر الرسول، والاقتداء به في شأنهم كله، وفي هذا السياق يرد قول علي، كرم الله وجهه، في مسح الخفين، حيث قال: " لو كان

الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه" . (سلسلة العلامتين ابن باز والألباني، عن موقع: www.3llamteen.com)

ولم يبتدع عمر وعلي هذا المنهج، وإنما كانا والمسلمون ينفذون التوجيه الرباني الذي حث على اقتفاء أثر الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب:21) .

وهو المنهج الذي أرشد إلى الحرص عليه قوله، صلى الله عليه وسلم: "فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (سنن أبي داود، في السنة) .

ومن هذا المنطلق رأيت أن أكتب فيما هداني الله إليه، حيث قدمت حلقة أسبوعية في صحيفة القدس المقدسية، تحت عنوان "الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم،" تتبعت في كل حلقة منها خطى الرسول، صلى الله عليه وسلم، في أحد مواضيع الخير التي أرشدتنا إليها السنة النبوية الشريفة ، أو السيرة النبوية المطهرة.

ولا أزعم أن هذه الحلقات هي السيرة المفصلة الكاملة للرسول، صلى الله عليه وسلم، كما أنها لا تقع ضمن الدراسات المتخصصة لأحاديثه الشريفة، وإنما هي جهد المقل الراجي من ربه العفو والمغفرة، عسى أن يكون مشمولا وعموم المسلمين في معنى قوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (آل عمران:31) .

وأرجو أن تكون هذه الحلقات عونا للمسلمين على الاتباع والتأسي بسيد الخلق أجمعين وإمام المرسلين، وشفيعنا يوم القيامة عند رب العالمين .

وقد رأت دار الإفتاء الفلسطينية أن تجمع أول خمسين حلقة من حلقات "الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم،" في إصدار جديد لها ، فطابت وطاب مسعاها، ونفع الله بها أخاكم والقائمين عليها ببركة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وحسن التأسي به.

الرسول الأسوة

على درب الرسول صلى الله عليه وسلم

1

28/محرم/1428هـ وفق 16/2/2007م

تعتز الأمم الحية بقادتها العظماء، وتفتخر وتنسب إليهم حضارتها وتقدمها بين أمم العالم، وتبقي على ذكراهم حية في نفوس الأتباع والأجيال. بل تذهب إلى تخليدهم بإقامة النُّصبِ لهم عرفانا بدورهم واعترافا بفضلهم.

ويتم هكذا تكريم لزعماء سياسيين، أو قادة دينيين، أو علماء في شتى ميادين العلم، أو مفكرين يثرون فكر أممهم وفق ما يعتقدون بأنه النافع لهم والرافعة التي تنهض بحضارتهم. وهذا على مستوى أمم الأرض جميعها.

وأما فيما يخص أمتنا الإسلامية التي تميزت بحمل الرسالة الخاتمة للرسالات السماوية التي بعث الله بها نبينا محمداً، صلى الله عليه وسلم، للثقلين وللأبيض والأسود وللعرب والعجم وللإنس والجن (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) (الأنبياء:107). فإن الشخصية المتميزة في هذه الأمة هي شخصية الرسول الأسوة التي لا يرقى إلى مستواها أو يقترب من مزاياها كائن من البشر حتى الصحابة، رضوان الله عليهم، الذين خرجتهم مدرسة الرسول، صلى الله عليه وسلم، والذين اكتسبوا كثيرا من أخلاقه ونفذوا تعاليم دينه كما بلغه عن ربه جل وعلا.

إنه بشر لكنه رسول أكمل الله خَلقه وخُلقه فلم يدانيه في ذلك أحد فهو حبيب رب العالمين وإمام الأنبياء والمرسلين. وقدوة وأسوة لأمة الإسلام والمسلمين ورسول الله للعالمين.

وفي هذه الأيام التي اشتدت فيها الهجمة على الإسلام ونبي الإسلام ،عليه الصلاة والسلام، تشويها وتحريفا وايذاءً تحت ستار حرية الرأي والتعبير ضاربة عرض الحائط بما تسببه هذه الإساءات من جرح لمشاعر المسلمين وإيذاء عقيدتهم. فإني رأيت من أوجب الواجبات أن أدلي بجهد المقل في بيان بعض جوانب الأسوة بهذا الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، من خلال

صحيفة القدس الغراء ليتعرف المسلم قبل غيره على مكانة هذا النبي الكريم ويتأسى بهديه الشريف وسيرته العطرة، هذه السيرة التي تزيد المحب حبا، والمقتدي تمسكاً، والجاهل معرفة، كما ترسم طريق الخير للعاملين الذين يحرصون أن يكون عملهم كاملاً أو قريبا من الكمال، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها .وقد دعانا للتأسي بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:21)، فليكن التأسي برسول الله، صلى الله عليه وسلم، سبيلنا ورائدنا إلى كل خير، وما أحرانا ونحن نستقبل عاماً هجرياً جديداً أن نأخذ درساً من دروس الهجرة النبوية الشريفة، وهو درس المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فما إن حل النبي، صلى الله عليه وسلم، أرض المدينة المنورة دار هجرته حتى آخى بين المهاجرين والأنصار الذين نصروا الله ورسوله واستقبلوا المهاجرين بكل ترحاب ومودة. وقد جعل الرسول الأسوة ، صلى الله عليه وسلم، من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أحد الأسس الثابتة والقواعد الراسخة في بناء مجتمع المدينة المنورة حيث المسلمون أمة من دون الناس تربطهم العقيدة التي ذابت في بوتقتها كل الأواصر والروابط، فما أحوجنا إلى هذا الدرس العظيم من دروس الهجرة! ونحن نرى أبناء الوطن الواحد والدين الواحد يتقاتلون، ويوجهون سلاحهم إلى صدر الوطن والمواطن ليسيل الدم الذي حرمه الله ورسوله على أرض فلسطين والعراق ولبنان وغيرها من ديار المسلمين. فأين نحن من سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم ؟ ومن نهج أصحابه الكرام الذين تآخوا في الله، وتقاسموا رغيف العيش، بل وصل الأمر بهم إلى قسمة الأهل والمال بين بعضهم بعضا.

ألستم يا أبناء فلسطين من أحفاد هؤلاء الكرام من الصحابة الذين آخى بينهم رسولهم الكريم ،صلى الله عليه وسلم، فكانوا نموذجاً يحتذى ويقتدى بسيرتهم وأخلاقهم التي اكتسبوها من الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم.

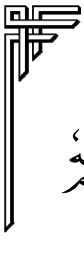

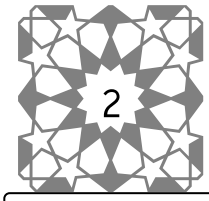

5/صفر/1428هـ وفق 2007/2/23م

يبين مكانة بيت المقدس

في مقام القدوة الحسنة برسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي أسرى به ربه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله فيه، وبارك حوله تثور أسئلة كثيرة في ذهن أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لمعرفة أهمية هذا المسجد والديار المباركة حوله، وكيفية تحصيل الثواب من زيارة هذا المسجد العظيم، أو الإسهام بالمحافظة عليه إعماراً وتعميراً.

يأتي سؤال ميمونة، رضي الله عنها، مولاة النبي، صلى الله عليه وسلم، قالت: قلت يا رسول الله " أفتنا في بيت المقدس؟ قال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه. قال: فتهدي له زيتا يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه" (سنن ابن ماجه ، باب إقامة الصلاة والسنة فيها/ ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس) .

من هذا الحديث الشريف والهدي النبوي الكريم يبدو واضحاً لكل مسلم أهمية هذه الديار، ومكانة مسجدها المبارك على امتداد التاريخ الإسلامي، إذ شغل المسجد الأقصى مساحة من عقيدة المسلمين من خلال معجزة الإسراء والمعراج التي يعدُّ المسجد الأقصى المبارك محورها. فبالإضافة إلى كونه نهاية رحلة الإسراء، فهو بداية رحلة العروج بالنبي ،عليه الصلاة والسلام، إلى السموات العلا.

وهو بوابة الأرض إلى السماء، كما أن الإسراء بالنبي، عليه الصلاة والسلام، إليه، وجّه أنظار المسلمين نحوه، وأدركوا أن أرض القدس وفلسطين هي أرض إسلامية ارتبطت بعبادة المسلمين كون المسجد الأقصى قبلتهم الأولى، ومعلوم أن الصلاة وهي عمود الدين، وأحد الأركان التي قام عليها الإسلام فرضت في سماء القدس ليلة الإسراء والمعراج خمساً في العمل، خمسين في الأجر، أي الحسنة بعشر أمثالها. ويزداد الثواب متى تؤدّى الصلاة في المسجد الأقصى إلى ألف

صلاة أو خمسمائة كما ورد في الأحاديث الشريفة. وإذا كانت أرض بيت المقدس لها هذا الدور العظيم في الحياة الدنيا، فإن هذا الدور عظيم كذلك في اليوم الأخر فهي أرض المحشر والمنشر ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم:48) .

حيث تقف جميع الخلائق للحساب ليصير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، نسأل الله العفو والعافية وأن يشملنا برحمته وغفرانه، إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وإذا عدنا إلى مزيد بيان لأهمية هذه الديار ومسجدها في حياة المسلمين، وجدنا أن هدي النبي عليه الصلاة والسلام في توجيه المسلمين نحو هذه الديار بدأ مبكراً.

فقد وجه الصحابة الكرام في غزوة مؤتة نحو هذه الديار وتبعتها غزوة تبوك، وأصدر أبو بكر، رضي الله عنه ، أمراً بتوجيه جيش أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما ، إلى بلاد الشام للوصول إلى القدس ليتبعه جيش أمين الأمة أبو عبيدة في خلافة الفاروق عمر لفتح الشام وبيت المقدس التي تسلم مفاتيحها خليفة المسلمين عمر يوم حضر من المدينة المنورة إلى مدينة القدس المقدسة ويؤذّن بلال، رضي الله عنه، في مسجدها الأقصى المبارك معلناً كلمة التوحيد مدوية في ربوعها، وتشق عنان سمائها إيذانا بانتصار الحق وانهزام الباطل. ومنذ ذلك الزمن حرص المسلمون على رعاية القدس ومقدساتها، فبنوا المسجد الأقصى المسقوف، وشيدوا قبة الصخرة المشرفة، وأقاموا القباب والمصاطب والأسبلة والآبار والأروقة المحيطة بالمسجد والعمائر والمدارس لخدمة الإسلام والمسلمين، وإعمار المسجد الأقصى وإسراج قناديله بنور العلم والمعرفة تأسياً بالرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي أمر بإتيان هذا المسجد والصلاة فيه والمحافظة على إعماره بزيت يُسرج في قناديله فهلا كنتم يا أبناء ديار الإسراء والمعراج هذه القناديل المضيئة في المسجد الأقصى في وقت ساد فيه الظلم والظلام في رحاب القدس والأرض المباركة.

وهلا عملت الأمة بمجموعها بهذا الهدي الكريم ليبقى المسجد الأقصى منيراً مضيئاً عامراً بالإسلام والمسلمين يدفعون عنه غوائل العدوان وعتو المعتدين.

يربط المسجد الأقصى المبارك بالمسجد الحرام

يقرأ المسلمون في كتاب الله العزيز هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:96) .

وقد عرف صحابة الرسول، صلى الله عليه وسلم، من آية الإسراء أن مسجدا آخر وضع في الأرض، قال تعالى ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الاسراء:1).

كما أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بإقامة مسجده في المدينة المنورة، ويسأل الصحابي الجليل أبو ذر الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، بيان بداية وضع هذه المساجد في الأرض فيقول : (**قلت يا رسول اللّه: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام . قلت : ثم أي؟ . قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال : أربعون سنة وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد**) (صحيح مسلم / باب المساجد ومواضع الصلاة).

وفي هذا البيان النبوي الشريف للفترة الزمنية بين وضع أول بيت للعبادة في الأرض، وثاني بيت ما يجلي فهم آية الإسراء التي ربطت بين المسجد الحرام في مكة المكرمة، وبين المسجد الأقصى في القدس الشريف . فجاء ذكر أول بيت وضع في الأرض حيث ابتدأت به آية الإسراء، وثنى بذكر البيت الثاني وهو المسجد الأقصى المبارك.

وحتى لا يقع الناس في التأويل والأقاويل في تاريخ وضع البيت الثاني كانت الإجابة واضحة جلية في الحديث النبوي الشريف التي جزمت بأن البيت الثاني هو المسجد الأقصى الذي وضع

بعد المسجد الحرام بأربعين سنة.

فالوحي الجلي، وهو القرآن الكريم، بيّن أن أول بيت وضع في الأرض هو المسجد الحرام، كما بيّن الوحي الخفي على لسان من لا ينطق عن الهوى أن المسجد الأقصى هو البيت الثاني في الأرض، وبهذا التحديد والتعيين تنتفي ادعاءات كثيرة نسجت وتنسج حول المسجد الأقصى من ذوي الأطماع الاحتلالية والأهداف الإجرامية، التي تعمل ليل نهار لصرف المسجد عن رسالته وإخراجه عن كونه البيت الثاني في الأرض لتوحيد الله وعبادته وذكره، بعد أن أضفى الله عليه اسم المسجد، وقرر إسلاميته بقرار رباني حدد مراكز النور للدعوة الإسلامية ، حيث مكة التي شهدت رحاب مسجدها وبطاحها نور التنزيل الحكيم على سيد المرسلين ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل:1) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ (المدثر:1-2).

هذا الإنذار الذي قبلته القلة المؤمنة وأنكرته الكثرة المشركة التي ناصبت الرسول، صلى الله عليه وسلم، المنذر العداء، وألحقت به وبأتباعه اشد الإيذاء. وفي هذه الأجواء العصيبة يأتي التكريم من رب الأرض والسماء فيُسري بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويعرج به من هناك إلى السموات العلا. في إشارة واضحة أن هذه الديار المباركة مآلها للإسلام والمسلمين، وأن مسجديها الحرام والأقصى حجرا الرحى اللذان تدور الأحداث من حولهما، وهو شاهد على أحوال الأمة قوة وضعفا منذ فجر الإسلام إلى نهاية الحياة على هذه المعمورة التي وضع الله فيها رموز توحيده ومنارات هداياته، واختص الأمة الإسلامية بالقيمومة عليها تكريماً وتشريفا لهذه الأمة التي أكرمها الله بخير المرسلين فكانت ﴿ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:110) .

فإنه لما استجبنا لداعي الله، فأطعنا الرسول، صلى الله عليه وسلم، أكرمنا الله بقيادة الأمم، فأين أمتنا اليوم من هذه الأمانة الجليلة والشرف العظيم وهي ترى المسجد الأقصى ثاني

المسجدين وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله ومعراجه إلى السموات العلى تحدق به الأخطار وتهدد بنيانه ومرافقه وطرقه وبواباته معاول الهدم والخراب لتنفيذ مخططات تستهدف وجوده وطمس الحضارة التي يمثلها على امتداد تاريخ الوجود الإسلامي في هذه الديار ؟.

إن المسجد الأقصى المبارك ينادي أمته، ويستنهض فيها روح العطاء و الفداء لنصرته وحمايته، معلناً للعالم أجمع أن مسجدا وضعه الله في الأرض لتوحيده وذكره، لن يتخلى الله عنه وأن المساس به لن يمر دون عقاب المعتدين ولو بعد حين. كما أن تخلي الأمة عن نصرته سيدمغ المتخاذلين بالعار في الدنيا والهوان في الآخرة. كما سجل التاريخ ويسجّلُ مواقف من يذودون عنه بأحرف من نور.

أما ترون يا مسلمون كيف خلّد التاريخ موقف الفاروق وصحابة الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، يوم فتح القدس ؟ وزين جبين الأمة بصلاح الدين محررها رضي الله عنهم وهم خير من تأسى بالرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم.

فهلا تعيدون مجدهم وتكونون مثلهم ؟

(يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام . قلت : ثم أي؟ . قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال : أربعون سنة وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد)

الرسول الأسوة

4

19/صفر/1428هـ وفق 2007/3/9م

يأمر بشد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك

نقرأ حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى)(صحيح البخاري/كتاب الجمعة /باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدي ، ومسجد إيلياء ـ أي القدس ـ) (صحيح مسلم/كتاب الحج /باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد).

ومع كثرة الروايات للحديث بتقديم أو تأخير في ذكر المساجد الثلاثة، فإن شد الرحال قد حصر في هذه المساجد التي ذكرها الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم ، وهي المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ،والمسجد الأقصى في القدس الشريف، والمقصود بشد الرحال إلى هذه المساجد أي السفر لزيارتها وقصدها بنية العبادة والتقرب إلى الله تعالى، فلا يقصد مكان سواها بهذه النية، وفي هذا تعظيم لشأن هذه المساجد التي شرفها الله وجعلها منارات لتوحيده وعبادته، وأضفى عليها بركة وقدسية، وكان لهذه المساجد الثلاثة شأن كبير في الدعوة الإسلامية ، ومكانة عظيمة في العبادة.

فالمسجد الحرام هو أول بيت وضع في الأرض، وفي رحابه نزل الوحي على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وشهدت مكة اتصال السماء بالأرض من خلال أمين الوحي جبريل الذي نزل بالقرآن، وقد شهدت مكة صراعاً مريراً بين المسلمين الأوائل وبين المشركين الذين ناصبوا الإسلام ونبيه وأتباعه العداوة والبغضاء في محاولة للقضاء على الإسلام في مهده، وعلى المسلمين قبل أن يشتد عودهم ويقوى ساعدهم.

وقد استشهد منهم من استشهد تحت أصناف العذاب، وحبس منهم من حبس، فهاجروا إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة المنورة ثانياً، التي أقام فيها النبي، صلى الله عليه وسلم، دولة الإسلام الأولى من الأنصار والمهاجرين وأمر ببناء مسجده الشريف ليكون مقر العبادة ودار العلم ومركز القيادة يجتمع فيه المسلمون لبحث شؤون حياتهم كافة، ويستمعون إلى توجيه النبي، صلى الله عليه وسلم ، وهو يخبرهم بأحكام هذا الدين من الوحي الأمين بالقرآن والهدي النبوي الشريف بالسنة المطهرة. ويعود النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى مكة المكرمة فاتحا منتصرا في العام الثامن لهجرته الشريفة، ويكسر الأصنام والأوثان المحيطة بالكعبة المشرفة وهو يتلو قول الله تعالى ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الاسراء:81)، ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا الحاضر والمسلمون في شتى بقاع العالم يشدون رحالهم إلى المسجد الحرام يؤدون فريضة الحج ويعتمرون ويطوفون بالبيت العتيق تعظيماً لشأنه، وهم يدعون الله تعالى: اللهم زد بيتك تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ومهابةً وبراً ، وزد يا رب من شرفه وكرمه وعظمه ممن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ومهابةً ورفعة وبراً.

كما يشدون رحالهم إلى مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم، للزيارة والعبادة والسلام على النبي، صلى الله عليه وسلم ، ويتذكرون هناك ـ حيث الرحاب الطاهرة ـ جهاد النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه في سبيل الله لإقامة حكم الإسلام ودولة المسلمين، ويحوزون الثواب الجزيل على أعمال الخير والبر، فثواب العمل يضاعف في المسجد الحرام بمائة ألف، وفي المسجد النبوي الشريف بألف، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة، والله يضاعف لمن يشاء.

إلا أن المسلمين اليوم لا يستطيعون شد رحالهم إلى المسجد الأقصى ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، حيث الاحتلال الإسرائيلي الذي يأسر المسجد الأقصى ويحول بينه وبين المسلمين، بل يحول بين أهل هذه الديار المباركة وبين المسجد الأقصى من خلال الجدران والأطواق والحواجز العسكرية التي تطوق القدس وتمنع أبناء فلسطين من الوصول إليها، والصلاة في مسجدها الأقصى الذي تشد إليه الرحال. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا

ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ) (البقرة:114)، ولم يكتف هذا الاحتلال بمنع المصلين من أبناء فلسطين من الوصول إلى المسجد، بل راح يغض الطرف عن المنظمات اليهودية المتطرفة التي تعمل جاهدة للمس بالمسجد من خلال الحفريات والأنفاق التي طالت أساسات جدران المسجد ومرافقه مما جعل المسجد في خطر حقيقي.

وما العدوان الإسرائيلي الجاري الآن في طريق بوابة المغاربة، التي تعدُّ مرفقاً من مرافق المسجد الأقصى، وترتبط بأجزاء مهمة من المسجد كبوابة المغاربة وهي مدخل رئيس للمسجد، كما تتصل بمسجد البراق الشريف والجدار الغربي للمسجد وهما جزءان أساسيان من بنيان المسجد.

إن العالم العربي والإسلامي بدوله وحكوماته وشعوبه مدعو اليوم لمراجعة كل مواقفه تجاه المسجد الأقصى لحمايته ودفع العدوان عنه، والعمل على إزالة كل العوائق التي تحول دون وصول المسلمين إليه لتحقيق هدي الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، بشد الرحال إلى المسجد الأقصى كما هو الحال بشد الرحال إلى شقيقيه المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

وما ذلك بعزيز على أمة دستورها القرآن، وطريقها هدي المصطفى الأسوة عليه الصلاة وأفضل السلام، وإنا لمنتظرون.

(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى)

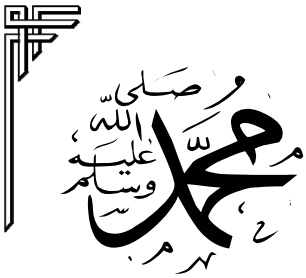

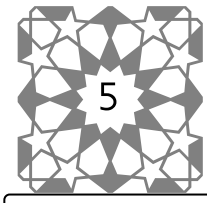

26/صفر/1428هـ وفق 2007/3/16م

يبشر أصحابه

يشكو الصحابة، رضوان الله عليهم، إلى الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ضيق الحال الذي وصلوا إليه وشدة الأذى الذي لحق بهم من مشركي مكة بسبب اتباعهم للرسول عليه الصلاة والسلام، واعتناقهم دين الإسلام الذي دعا إليه، وهو كلمة التوحيد والحنيفية السمحة التي جاء بها الأنبياء ودعا إليها الرسل الكرام جميعاً، عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام. وقد تعرض جميع المؤمنين برسالات الرسل إلى الأذى من قِبل المعاندين والكافرين. الأذى الذي وصل في كثير من الأحوال إلى قتل الرسل واضطهاد أتباعهم في محاولات القضاء على الدين الحق الذي بشر به رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ودعوا أممهم إلى اتباعه ليفوزوا في الحياة الدنيا وينالوا الرضوان في الآخرة . ونقرأ في صحيح البخاري حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الصحابي الجليل خباب بن الأرت، رضي الله عنه، قال: (شكونا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و هو متوسد بردة له في ظل الكعبة. قلنا له، ألا تستغفر لنا، ألا تدعو اللّه لنا، قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، واللّه ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللّه والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) (صحيح البخاري / كتاب الإكراه / باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر)

إنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا أن يبتلى المؤمنون لتمحيص إيمانهم، وسبر أغوارهم لإعدادهم لحمل الدعوة، وتحمل كل التبعات المترتبة على تبليغها للناس، ونشرها في هذا العالم.

وهذه مهمة عظيمة لا يقوى على القيام بها إلا من أعدّ إعداداً إيمانياً متميزاً وتربى في مدرسة

الرسول والرسالة، وهذا بالتحديد ما كان عليه أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذين استهانوا بأذى المشركين واستعذبوا الشهادة وهم صابرون على العذاب في حرّ الصحراء وجلد السياط والرمي بالحراب، وهكذا يحث الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، أصحابه وأتباعه على تحمل الأذى في سبيل نصرة دعوة الإسلام وحمل عقيدة الإيمان مخاطبا الصحابة الكرام بأن المؤمنين في الأمم السابقة من أتباع الرسل كانوا يتعرضون لعذاب أشد مما يتعرض له أصحابه، فكانت تحفر لهم الحفر في الأرض، ويشقّون نصفين، أو يمشط لحمهم عن عظامهم بأمشاط الحديد، ورغم هذا كله لا يفرطون بعقيدتهم، ويتمسكون بدينهم.

ومن خلال هذا المشهد الرهيب من العذاب والاضطهاد الذي يمر به المؤمنون في أوائل الدعوة تأتي بشارة النبي، عليه الصلاة والسلام، لأصحابه ولأمته بأن هذا الأمر- أي دين الإسلام- سيتم وينتشر بين البشرية التي ستنعم بالسعادة والطمأنينة في ظل عدالة الإسلام وسماحته التي تعم أتباعه، كما تتسع لكل الإنسانية من أتباع الديانات الأخرى، من غير ظلم أو اضطهاد لأتباعها وإن لم يعتنقوا دين الإسلام فلا أخدود ولا محاكم تفتيش في ظل دعوة الإسلام ودولته.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧﴾ (البروج).

وتتحقق نبوءة رسولكم الأسوة فلم يفارق، عليه الصلاة والسلام، هذه الدنيا حتى عم الأمن والإيمان ربوع جزيرة العرب وسافر الراكب من صنعاء إلى حضرموت ومن الحجاز إلى نجد وأطراف الجزيرة لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه.

كما توسعت رقعة الدولة الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة حتى وصلت إلى بلاد الشام وإلى مصر وإلى شمال إفريقيا وإلى سواد العراق وبلاد ما وراء النهر.

ووصلت حدود دولة الإسلام في ظل الخلافتين الأموية والعباسية إلى حدود الصين شرقاً وإلى شواطئ المحيط الأطلسي غرباً.

وخاطب خليفة المسلمين هارون الرشيد السحابة قائلا: أمطري حيث شئت فخراجك عائد إلينا.

فحري بالمسلمين اليوم أن يعيدوا قراءة تاريخهم وأن يتأسوا بهدي رسولهم، صلى الله عليه وسلم، بالتمسك بدينهم وعقيدتهم، وبذل كل الإمكانات في سبيل نصرة الدين والعقيدة، وتحمل كل الصعاب في سبيل ذلك.

وهم إن فعلوا هذا كانوا الجديرين بالنصر والعزة والتمكين. بعد الضعف والهوان والفرقة والشتات. والله يقول : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ (النور:55) .

وإن ما تتعرض له بعض الشعوب الإسلامية اليوم من قتل وحصار وعدوان واحتلال ما هو إلا نتيجة لفرقة المسلمين وابتعادهم عن نهج الرسول الأسوة عليه الصلاة والسلام.

وإن العودة الصادقة إلى هذا النهج كفيلة بأن يسير الراكب من أي قطر من أقطار المسلمين إلى حيث يشاء بأمن وأمان يوم يتم الله هذا الأمر بخلافة راشدة على منهاج النبوة، وهي قادمة لا محالة ولكنكم تستعجلون.

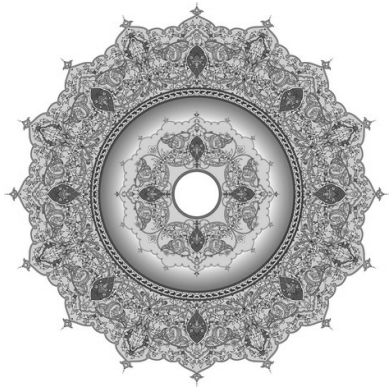

يبين أهمية التربية الأسرية

نقرأ حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم،: (إن اللّه سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته) (صحيح ابن حبان / كتاب السير / باب في الخلافة والإمارة).

لنجد في هذا الحديث النبوي الشريف ثقل المسؤولية الملقاة على عاتق كل مسؤول سواء أكان حاكما أم واليا أم مدير مؤسسة، أم رب بيت، وأن هذا الراعي مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى عن رعيته، هذه الرعية التي تبدأ في البيت مع الأسرة المكونة من الأب والأم والأبناء، ثم تتسع الرعية وتكبر لتصل إلى حدود الدولة والشعب والحاكم والأمة.

وإذا كانت الأسرة هي النواة الصلبة لتكوين الشعوب والمجتمعات فقد أولى الحديث النبوي الشريف هذه اللبنة عناية زائدة من الاهتمام والتربية والمسؤولية .فجعل الرجل الذي هو قوام الأسرة محل المسؤولية عن تكوين البيت الصالح والأسرة النافعة في محيطها ومجتمعها .كما أولى الشق الثاني من الأسرة وهي الزوجة الصالحة مزيداً من العناية وجعلها مسؤولة عن رعيتها مسؤولية لا تقل عن مسؤولية الرجل لأن الأم مدرسة التربية.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيّب الأعراق

فإذا انشغل الآباء عن هذه المهمة العظيمة، وهي مهمة رعاية بيوتهم وأهملوا واجبهم نحو تربية أبنائهم وبناتهم، فإنهم يسهمون في زيادة أعداد المنحرفين أخلاقيا الذين يشكلون عبئا على المجتمع.

ولعل من أعظم ما يؤلم النفس أن يقال انظروا إلى أبناء فلان أو علان من الناس، وقد تولى منصبا رفيعا أو أدار تجارة ناجحة ماذا يفعلون وكيف يتصرفون؟

ولكي نكون منصفين فلن نجرم كل من ينحرف أبناؤهم فالهداية من الله تعالى الذي يقول في محكم التنزيل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص:56).

ولكننا نقصد من ينشغلون طيلة الوقت عن بيوتهم، ولا يبذلون جهدا يذكر في محاولة التربية والتهذيب والتقويم والمتابعة لأبنائهم.

فقد صح عن النبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،الإمام راع ومسؤول عن رعيته،والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته**) (صحيح البخاري / كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس / باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه).

وإن تحقيق النجاح في هذا الجانب لهو بيد الله تعالى الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ورحم الله الإمام الشافعي فقد قال :

عليَّ الجدُّ فيما فيه نفعي وليس عليَّ إدراكُ النجاح

ولا يمكن أن يكون سيدنا نوح وسيدنا لوط عليهما السلام قد قصرا في نصح أهل بيتيهما ـ ومن اعتقد ذلك فقد كفر ـ فقد خانتاهما زوجتاهما قي العقيدة فكانتا من الهالكين، يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ (التحريم:10).

كما غرق ابن نوح مع الغارقين من الكافرين لما نزل بهم عذاب رب العالمين ،ومع حرص نبينا، عليه الصلاة والسلام، على هداية عمه أبي طالب، إلا أن مشيئة الله تعالى سبقت بأن يكون أبو طالب من الكافرين، وما أجمل قول القائل :إن من ينفع الناس ويرشدهم وينسى نفسه وينسى أهله كمن يزرع أرض غيره ويذر أرضه بوراً وخراباً.

وما أعظم وابلغ وأوجز قول الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة:44)، وقد أصاب أبو العتاهية في قوله :

وغيرُ تقي يأمرُ الناسَ بالتقى طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليلُ

فاعلموا أيها الآباء بأن فشل الرجل في بيته يطمس كل نجاح له خارج البيت، ومن أهمل أهله كان لما سواهم مضيعا. ومهما كان التسويغ في إهمال الأهل والأبناء والبنات، فهو عذرٌ أقبح من ذنب وهو تسويغ لا يقبله الله ولا رسوله ولا المسلمون.

ومن المصيبة أن يتوهم رب البيت النجاح في عمله وهو فاشل ومقصر في أهم واجباته.

اللهم إنا نعوذ بك من سوء العاقبة، ومن فساد الذرية، ومن سواد الوجه في الدنيا والآخرة، ونسألك النجاة في سلوك طريق الخير والهداية التي رسمها وبين معالمها رسولك الأسوة، صلى الله عليه وسلم، وندعوك اللهم بأصدق القول وأحسنه ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا﴾ (الفرقان:74).

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،الإمام راع ومسؤول عن رعيته،والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته)

يوضح العلاقة بين الرسالات السماوية

نقرأ حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم، ونحن نستظل في ذكرى مولده الشريف ـ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) . (صحيح البخاري / كتاب المناقب / باب خاتم النبيين)

إن هذا الحديث الشريف من جوامع كلم الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، يبين بناء التوحيد الذي جاء به جميع الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم. هذا البناء الذي اشتمل على كمال الأخلاق وتثبيت قيم الإيمان، وبيان مزايا الشرائع الإلهية التي ختمت بشريعة الإسلام ورسول الأنام جميعا، سيد الوجود بأسره الذي كان اللبنة الأساسية في صرح بناء النبوات.ويدور في الذهن سؤال كيف نحتفي بذكرى مولد النبي، صلى الله عليه وسلم،؟

والجواب جاء بوحي حكيم يوجب الاقتداء بهديه، والأخذ بسنته والسير على نهجه وطريقته فالله يقول: ﴿قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران: 31-32).

فأين تقف الأمة اليوم من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، ؟

أظنه لا يختلف عاقلان أن الأمة بعيدة كل البعد عن منهاج ربها، وهدي نبيها منذ أعرضت عن هدايات الله، واتبعت سبل الشيطان، وكانت مصيبتها الكبرى في تنحية دستور الإسلام عن سدة الحكم، واستبدالها الذي هو أدنى بالذي هو خير .

فوقعت الأمة في ضنك العيش، وهذا حالها شاهد ناطق وصورة حية على ما تعانيه من ضعف وهوان. يوم أعرضت عن الدروس والعبر والنهج المستقيم الذي يكمن في هدي النبي، صلى الله عليه وسلم.

وظنت أن إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف يكون باحتفال يقام هنا أو هناك تلقى فيه الخطابات، وتعقد الندوات التي تتناول سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وتبين الأحوال التي سبقت ولادته وبعثته دون أخذ العبرة من نهجه الذي أنار الأرض بنور الإسلام وفتح القلوب بحلاوة الإيمان، وجعل من الأعراب المتحاربة على سبق ناقة أو بعير خير أمة أخرجت للناس، وبهذا الاعتبار فإن مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، هو مولد أمة نهضت من الضلالة إلى الهداية ، ومن الضعف إلى القوة، ومن الفرقة إلى الوحدة، و من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جهالات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلم القبيلة إلى عدل الشريعة، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام، ومن رابطة الدم إلى رابطة العقيدة، ومن الخرافات والأوهام إلى حقائق الدين والإيمان ومن حاكمية الطاغوت إلى حكم الله.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ (الأنعام :57).

بهذه القيم والمبادئ التي أكملت بنيان النبوات وختمت الرسالات، كونّ نبينا عليه الصلاة والسلام أمة الإسلام وأقام دولته الأولى في المدينة المنورة. يلوذ بكنفها الضعفاء والمحرومون وترحب بدعوتها وجيشها الشعوب المقهورة، وتدخل في دين الله أفواجاً لما لمسته من عدل المسلمين وحرصهم على كرامة الإنسان حتى مع اختلاف الدين.

إنه النور العظيم والهدي الكريم الذي جاء به نبينا الأسوة، عليه الصلاة والسلام، فهدى الأمة إلى سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور.إنه السلام الذي يتفق مع الفكر والتطبيق. وهو السلام الذي يبثه هذا الدين في الحياة كلها. إنه سلام الفرد وسلام الجماعة وسلام العالم، وسلام الضمير، وسلام العقل وسلام الجوارح. سلام البيت والأسرة والمجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية.

إن الاقتداء بالرسول، صلى الله عليه وسلم، هو الذي مكن لسلف هذه الأمة في الأرض يوم أخذت بهدي نبيها، عليه الصلاة والسلام، وأمسكت بزمام العزة، فلم يمض بضعة عقود من الزمن، حتى بسطت دولة الإسلام نفوذها وعدلها من المحيط الأطلسي غرباً حتى حدود الصين شرقاً.

فهذا القائد المسلم قتيبة الباهلي، وقد توغل في بلاد الصين يحذره أحد أصحابه من هذا التوغل بقوله: (لقد أوغلت في بلاد الترك يا قتيبة والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر، فأجابه قتيبة، وقد ملأ الإيمان جوانحه ثقة بنصر الله توغلت وإذا انقضت المدة لا تنفع العدة) وإذا أردنا أن نكون مثلهم فلا بد لنا من التأسي بالرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، في القول والعمل والتزام الإسلام عقيدة وفكراً تحقيقاً وتطبيقاً في حياتنا. فقد آن الأوان لأبناء أمتنا المجيدة أن ينهجوا نهج الأولى، سبقوا في التزام أحكام هذا الدين العظيم، والثبات على مبادئه والتضحية في سبيل نصرته، وبهذا السلوك نكون قد أحيينا ذكرى مولد النبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي اكتمل به صرح النبوات وختمت به الرسالات.

(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)

بعث ليتمم مكارم الأخلاق

نقف عند حديث المصطفى الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه "أن رجلا قال للنبي، صلى اللّه عليه وسلم، أوصني؟ قال: لا تغضب، فردده مرارا- أي ردد قوله أوصني – قال لا تغضب" (صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب الحذر من الغضب لقول الله والذين يجتنبون .....) ، فيتضح لنا أن الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، كان يوجه أصحابه كما يوجه أمته إلى فضائل الأخلاق ومكارم الصفات لعلمه أن الغضب يخرج الإنسان عن حدود التوازن، ويوقعه في أمور لا يباشرها في حالة الرضا، لذلك جاءت وصية النبي، صلى الله عليه وسلم، جامعة شاملة في مكارم الأخلاق فمن أراد أن يحافظ على هذه المكارم، فليتجنب الغضب وهو حالة انفعال النفس، وهو من أوسع مداخل الشيطان إلى عقل الإنسان ليغريه بالقيام بتصرفات تجانب الصواب ، وقد يقود الغضب صاحبه للوقوع في جريمة أو إلى طلاق زوجته شريكة حياته وأمٌّ أولاده، وحافظة بيته وسره، ويندم إذا سكت الغضب، ولات ساعة مندم.

ولما سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق، رضي الله عنهما، عن خلق النبي، صلى الله عليه وسلم، قالت : (كان خلقه القرآن) (مسند أحمد / حديث السيدة عائشة رضي الله عنها).

إنه الوصف الشامل والكامل لأخلاق النبي، صلى الله عليه وسلم. يصدر من أقرب الناس إليه أم المؤمنين، زوجه التي خبرت هذه الأخلاق الكريمة فوجدت أبلغ تعبير عن هذه الأخلاق والصفات المرضية بقولها "كان خلقه القرآن"، وهو وصف دقيق ورائع لخلقه، عليه الصلاة والسلام، ومعلوم أن مكارم الأخلاق كلها قد وردت في القرآن الكريم، وهو الكلام الكامل والخالد والمعجز، والأخلاق التي أمر بها القرآن كثيرة، من تخلّق بها كان جديراً بالكمال الإنساني الذي تحقق في شخص النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن أخلاق القرآن الكريم التقوى،

والتذكر، والتدبر، والتفكر، والتعقل، والتعاون على البر والتقوى والدعوة إلى الخير،والنصح والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمانة والعدل في الحكم، والجدال بالتي هي أحسن وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق،والصبر، والحلم، والرحمة، والرأفة، والإيثار،والمودة بين الزوجين و بين المؤمنين والنصرة للحق،والمسامحة، والمغفرة، والعزة، والصدق في القول والعمل، والحرص على الخير، ومساعدة المحتاج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، والشهادة بالحق، ورحمة الصغير،وتوقير الكبير، وإعطاء كل ذي حق حقه، وخفض الجناح للمؤمنين، وعزة النفس، والقصد، والاعتدال في كل شيء.

فهذه عائشة رضي الله عنها أيضاً تروي لنا معاملة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأزواجه وخدامه فتقول : (**ما ضرب رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل اللّه،وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم اللّه تعالى فينتقم للّه تعالى**) (صحيح مسلم / كتاب الفضائل / باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهل....).

إنها السيطرة التامة على النفس ونوازعها كالغضب والسفه، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، لا يضرب ولا يصرخ ولا يطلق ولا يؤنب ولا يوبخ ولا يعاقب، بل يعامل بالحسنى، فأين نحن من هذه الأخلاق الكريمة التي هي أخلاق القرآن يطبقها رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم؟. إنه الكمال النبوي في أبهى صوره وأشكاله، وكم كان الإسلام عظيماً ونبيه، صلوات الله وسلامه عليه يخالف، الأعراف القائمة وقتها بقوله: (**إن إخوانكم خولكم ، جعلهم اللّه تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**) (الراوي : أبو ذر الغفاري – خلاصة الدرجة : صحيح – المتحدث : البخاري – المصدر : الجامع الصحيح – الصفحة أو الرقم 2545).

ألا فليتعلم أدعياء الرحمة الذين يرفعون الشعارات الجوفاء بالرفق بالحيوان ويمارسون أقسى الجرائم وأعنفها في حق كل من يقع تحت أيديهم من الشعوب ومن الأفراد.

فتحت ذريعة تحرير البلاد والعباد وترسيخ الحرية خربوا البلاد واسترقوا الأحرار من العباد ، وساموا الشعوب صنوف العذاب في أبي غريب، وغوانتنامو، وفي سجون الاحتلال الإسرائيلي إمعانا في ظلم الشعوب وأحرارها.

أما الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، فيعفو عمن ظلمه، وأخرجه من وطنه وسام أصحابه سوء العذاب، يتجلى ذلك في موقفه الكريم يوم فتح مكة، وقد دخلها متواضعا شاكرا لله، وهو يقرأ قول الله تعالى : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء : 81) . وكان يشير إلى الأصنام المحيطة بالكعبة المشرفة فتخر على وجوهها محطمة مهشمة. وكان، عليه الصلاة والسلام، قد بعث بمن ينادي في مكة من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن: وكل هذا ليحقق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخولا آمناً للمسلمين إلى مكة حرسها الله تعالى. ولما تجمع الناس قال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخٌ كريم، وابن أخ كريم فقال: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**). قال هذا لمن حاربه وأخرجه من وطنه، وتسبب له ولأتباعه بالهجرة إلى أكثر من مكان، ومع ذلك عندما قدر عليهم عفا وصفح، و هذا ما فعله القادة العظماء من السلف الصالح كصلاح الدين الأيوبي الذي عفا عن الصليبيين بعد كل جرائمهم التي ارتكبوها بحق المسلمين ومقدساتهم وممتلكاتهم. فهل يعي الناعقون باتهام الإسلام بالعنف والإرهاب هذه الدروس أم أن العمى والضلال قد أطبقا على أبصارهم و بصائرهم.

إنها الأخلاق القرآنية تمشي على الأرض في شخص النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي رفع الله ذكره، وأعلى شأنه وقرن اسمه باسمه وشهد له بالخلق العظيم، بأنه السراج المنير والرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، للمسلمين والعالمين جميعاً.

ونردد حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه وهم كذلك، قلنا وأين هم يا رسول اللّه؟، قال : في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس) (مسند أحمد / حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي) .

بشارة عظيمة ونبوءة كريمة من الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، لأبناء هذه الديار المباركة ، ديار الإسراء والمعراج وأرض النبوات والرسالات، أرض فلسطين التي روي ثراها بدماء الشهداء الأبرار، ووطأت أرضها أقدام الصحابة الأخيار وهم ينفذون القرار الرباني بإسلامية هذه الديار، ويقتفون أثر نبيهم وحبيبنا وحبيبهم الذي أسرى به مولاه من مكة المكرمة، من رحاب بيته العتيق ومسجده الحرام إلى رحاب المسجد الأقصى الذي بارك الله فيه وبارك حوله، إلى بيت المقدس وأكنافها ،أرض الطهر والقداسة والبركة، موئل الأنبياء، وقبلة الأصفياء، ومقصد العلماء، ومأوى الصالحين ، وجوار العابدين.

وهي الأرض المباركة التي لا زال أهلها وهم هذا الشعب الصابر المرابط الذي عانى ويعاني كل صنوف البلاء والابتلاء وهو يعلن تمسكه بأرضه، وتشبثه بحقوقه، كلما اشتد الأذى، ازداد صلابة،وكلما ضاق الحال ازداد عنفواناً وإيماناً بأن الحق الذي يحمله ويرفع رايته ويدعو إلى إحقاقه سيبقى ظاهراً رغم كل محاولات إضعافه أو تغييبه أو طمسه بشتى وسائل البطش والعدوان والاحتلال.

إن هذه الطائفة التي بشرها نبينا عليه الصلاة والسلام بالظهور على الحق تظهر ملامحها في صمود هذا الشعب وإبائه الذي ما انفك يعلن للقاصي والداني بأنه مهما كانت

التضحيات، ومهما اشتدت الظلمات فلن يحيد عن الحق الظاهر عليه والحامل للوائه إلى أن يأتي أمر الله.

وأمر الله كله خير، وبه نصدع، وله نسلم ، وبه نرضى،إنه أمر الحكيم الخبير، وهو مراد الصابرين وغايتهم التي يسعون للوصول إليها، مهما كانت الصعاب ومهما كانت العقبات التي يضعها المخالفون في الطريق : (لا يضرهم من خالفهم وفي رواية من خذلهم).

ولأهمية الدور الذي تقوم به هذه الطائفة وهو الظهور على الحق والدفاع عن هذا الحق – أحب الصحابة رضوان الله عليهم- وهم خير من تأسى بالرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم ، أن يعرفوا بالتحديد مكان هذه الطائفة، بعد أن بين لهم النبي، صلى الله عليه وسلم، أوصافها وهي الظهور على الحق، وقهر العدو، وعدم إضرار مخالفيهم لهم، فيقول،صلى الله عليه وسلم، محدداً مكان هذه الطائفة بكل دقة تزيل كل احتمال أو تأويل أو اختلاف في فهم هذه الأوصاف المتقدمة؛ لأن فيها معنى العموم من حيث الظهور على الحق، وإغاظة العدو وكثرة المخالفين لهذه الطائفة.

إنهم في "بيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، فهل بعد هذا التحديد لأوصاف هذه الطائفة، وتعيين مكان وجودها وعيشها في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، يشك واحد من أبناء هذا الشعب الصابر المرابط أن شعبنا الفلسطيني – إن شاء الله تعالى – هو المرشح للفوز بهذه الجائزة النبوية، والوسام الرباني لكونه الطائفة الظاهرة على الحق، القاهرة لعدوها مع كثرة المخالفين حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

ولو رجعنا إلى بدايات الوجود الإسلامي في هذه الديار لوجدنا أن هذا الشعب الأبي هو أبناء المسلمين الذين قدموا فاتحين لهذه البلاد، أو أبناء العرب الذين كانوا يعيشون في هذه الديار قبل الإسلام، واعتنقوا الإسلام حينما ظهرت دعوته، وانتشر نوره، وعمت هدايته.

وهم كذلك أحفاد المحررين والمجاهدين الذين ما قبلوا يوماً أن يغيب الحق ونداء التوحيد من على منابر المسجد الأقصى الذي تعم بركته بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، والذي يشرف شعب هذه الديار بحراسته وسدانته وافتدائه بالمهج والأرواح .

وليبق هذا المسجد منارة الهدى، وبوصلة التوجيه لأهداف أبناء هذا الشعب نحو الحق الذي يظهرون عليه وينادون بإحقاقه في هذه الديار المباركة بحول الله تعالى ووفق بشارة الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قلنا وأين هم يا رسول الله؟، قال : في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس)

يشرع قانون معاملة أسرى الحرب

في يوم الأسير الفلسطيني نستذكر القوانين والمعاهدات والأعراف الدولية التي تعنى بالأسير وحقوقه وظروف اعتقاله بما يليق وكرامته الإنسانية . وفي هذا المجال نقف على وصايا الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، التي حثت على رعاية الأسير ومعاملته المعاملة اللائقة بإنسانيته بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه، فنرى بما لا يحتاج إلى مزيد بحث وعناء أن النبي القدوة، عليه وعلى رسل الله الكرام أفضل الصلاة وأتم السلام، يوصي بالأسرى خيراً فيقول: (**استوصوا بالأسارى خيرا**) (إسناده حسن – المحدث:الهيثمي – المصدر: مجمع الزوائد – الصفحة أو الرقم 6/89).

قال هذا لصحابته الكرام، رضوان الله عليهم، وهو يوصيهم خيراً بأسرى بدر وقال هذا لأمته الإسلامية ليكون تشريعاً وقانوناً يتبع ويطبق على الأسرى في جميع الأحوال والأزمان .

وقال هذا للبشرية جمعاء ان كانت تسمع أو تعقل هذا الهدي النبوي الإنساني الكريم الذي رعى كرامة الإنسان ، وفقا لما منحه الله من تكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء:70) .

وإذا استعرضنا السيرة النبوية الشريفة للرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، نجد المواقف الكثيرة، مواقف الرحمة والرأفة والمعاملة الحسنة للأسير، فهو يوصي أصحابه بألا يجمعوا على الأسير حر السلاح، وحر الشمس، بل يظلونه ويبردونه، ويقدمون له ما يلزمه من طعام وشراب وكسوة. كما فعل ذلك، صلى الله عليه وسلم، مع العباس حينما رآه بلا قميص فكساه ثوباً.

وقد كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يؤثرون الأسير لديهم بالطعام و يقدمونه على أنفسهم.

وقد جعل الإسلام الإحسان إلى الأسير قربة من القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه يقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان:8-9). أبعد هذا البيان الصريح لمعاملة الأسرى في الإسلام يبقى مطعن لطاعن في عدالة الإسلام وسماحته ورعايته للإنسان في جميع الأحوال والظروف ومنها حالة الأسر. وهي حالة مؤقتة سرعان ما تنتهي إما بمبادلة الأسرى أو المن بإطلاق سراحهم بعد انتهاء الحرب أو افتدائهم من قبل أنفسهم أو أهلهم أو دولتهم، عملا بقول الله تعالى : ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد:4).

وبهذا يغلق الإسلام ملف الأسرى، وقد أعطى صورة كريمة للمعاملة الحسنة التي يلقاها الأسير لدى المسلمين بغض النظر عن دينه ، وجنسه ، ولونه ، وتابعيته. حيث جعل الأسير أسير الدولة، وهي التي ترعاه وتطبق عليه أحكام الأسر كما شرعها الدين وبيّنها الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولقد سبق الإسلام كل القوانين التي تمنع تعذيب الأسير أو إهانته وإذلاله من خلال أحكامه السمحة وتعاليمه الرحيمة. وقد سئل الإمام مالك ـرحمه اللهـ أيعذب الأسير إن رجي أن يدل على عورة العدو؟ فقال : ما سمعت بذلك.

فهل وقف من يعذبون أبناءنا وإخواننا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وفي سجون الظلم والظلمات في العراق وغوانتنامو وغيرها على هذه التعاليم الإسلامية السمحة التي ترعى الأسير وتحافظ على كرامته الإنسانية حتى في حالات الأسر والاعتقال.

إننا في يوم الأسير الفلسطيني نوجه تحية الاعتزاز والفخر والاحترام لجميع أبناء الحركة الأسيرة من أبناء شعبنا الفلسطيني البطل ولجميع الإخوة الأشقاء من أبناء شعوبنا العربية الذين يقبعون خلف قضبان سجون الاحتلال الإسرائيلي في ظروف غاية في القسوة والشدة وانتهاك

حقوق الإنسان، داعين الله تعالى أن يفرج كربهم ويحسن خلاصهم حتى يعودوا إلى أهلهم وذويهم وأبناء شعبهم وحضن الوطن قادة يصنعون الحرية للوطن والمواطن، في الوقت الذي نعاهدهم أن لا تغيب قضية إطلاق سراح الأسرى عن ذهن كل مسؤول ومواطن فلسطيني، لما لهذه القضية من أهمية وأولوية في أجندة شعبنا وقضيتنا الفلسطينية.

وبقي أن نقول لكل المؤسسات والهيئات الدولية والإقليمية المختصة بشؤون الأسرى لقد آن الأوان أن يطلق سراح أسرانا، وأن ينالوا ابسط حقوقهم الإنسانية في المعاملة التي تليق بالإنسان في حالة الأسر والاعتقال.

ولنا أن نهمس في أذن عالم اليوم، عالم الديمقراطية والمدنية، بأن إسلامنا قد ضمن حقوق الأسير وكرامته وأن رسولنا الأسوة، صلى الله عليه وسلم، بيّن هذه الحقوق قولاً وفعلاً بما يصلح أن يكون بياناً عالمياً في رعاية حق الأسير وكرامته .

فهل من مجيب؟؟؟

(استوصوا بالأسارى خيرا)

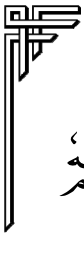

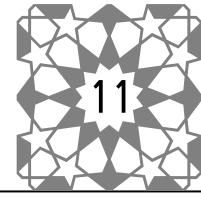

الرسول والأسوة

يحدد علاقات المسلمين بعضهم ببعض

9ربيع الآخر/1428هـ وفق 2007/4/27م

ونقرأ من وصايا الرسول، صلى الله عليه وسلم، من حديث طويل له وهو يوصي أمته حرصا عليها، وتوجيها لها نحو الخير ومكارم الأخلاق، فيقول عليه الصلاة والسلام (... **وكونوا ، عباد اللّه إخوانا. المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه**) (صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه).

في هذه الكلمات الجامعة من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، تتحدد علاقة المسلمين ببعضهم أفراداً كانوا أم جماعات ،فهو يأمر المسلمين أن يكونوا إخوة متحابين متآلفين متعاونين كما أمر الله القائل ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:10) هذه الأخوة التي أوجبتها العقيدة وهي أعظم رابطة يرتبط بها المسلمون مع بعضهم بعضا، إنها أخوة الإيمان ،وأخوة الإسلام ،هذه الأخوة التي انصهرت في بوتقتها كل الروابط والأواصر من دم أو عرق أو قبيلة وبهذه الأخوة الإيمانية التي جمعت بين العرب والعجم وبين الأجناس المختلفة والألوان المتباينة، استطاع المسلمون أن يرسخوا عقيدتهم وينشروا دعوتهم ويقيموا دولتهم، والتفاضل بين المسلمين بني على سابقتهم في الإسلام، وتضحيتهم في سبيله، وإخلاصهم في نشر دعوته وفق ميزان الله في التفاضل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:13) ، ويؤكد الرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، على أخوة المسلم لأخيه المسلم، ومن كان كذلك فلا ظلم ولا خذلان ولا احتقار، لأن هذه الأمور لا تصدر عمن يرتبطون مع بعضهم بعضا برباط الأخوة ،بل يجب أن يسودهم العدل والنصرة والحب والاحترام والإيثار والبر والإحسان لأننا عباد الله إخوانا، وهكذا أمر الله وأوصى بذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وحتى تكون هذه الضوابط هي

السائدة في المجتمع الإسلامي يشير الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى المعيار الذي يضبط تصرفات المسلم وسلوكه تجاه أخيه المسلم، وهو معيار التقوى، والتقوى بمعناها الواسع هي اتقاء كل ما من شأنه أن يوقع المسلم في إثم أو ذنب أو إساءة، مع المراقبة القلبية الدائمة لما يرضي الله، ويبعد عن خطوات الشيطان ووساوسه ونزعاته ويحفظ للمسلم قلبا سليما خاليا من الأحقاد، يراقب الله في جميع الأحوال، ولذلك أشار الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى صدره وهو مستقر القلب والفؤاد والنفس والعقل ،وهو معين الخير وموئل التقوى التي تحول دون المعاصي والآثام والظلم والعدوان، والذي لا يجوز أن يسود مجتمع المسلمين.

وإذا كان الصدر هو محل التقوى وهي قوة معنوية إيمانية مستقرها قلب المؤمن، فان ما يطلق عليه حياة الضمير أو الضمير الحي يصلح وصفاً لمن غلب عليه الخير والرأفة والرحمة، وابتعد عن ظلم الآخرين واحتقارهم، وتسفيه أحلامهم وإلحاق الأذى بهم، ولذلك كان الجزاء من جنس العمل، فيكفي الإنسان شراً أن يحقر أخاه المسلم ،هذا المسلم الذي حرم الله ورسوله دمه وعرضه وماله.فجعل دمه معصوما، وعرضه مصاناً،وماله محرزا ومحفوظا، ولذلك كان العدوان على أحد هذه الضرورات التي لا تقوم الحياة إلا بها عدوانا صارخاً وآثما يوجب على المعتدي قصاصاً، أو حداًّ، أو تعزيراً لكي تحفظ حياة الإنسان وشرفه وماله.ولذلك كان العدوان على النفس الإنسانية البريئة كالعدوان على البشرية جمعاء قال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) (المائدة:32) فعصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وحرمة المساس بها أمر معلوم من الدين بالضرورة، من استباحه أو استحله خرج من ربقة الإسلام، وبرئت منه ذمة

الله وذمة رسوله وذمة المسلمين.ومن اقترف من ذلك إثما وهو مقر بالحرمة عوقب بالقصاص أو الحد الذي بينه الله ـتعالىـ في كتابه العزيز، وطّبقه الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومن تبعه من الخلفاء والأمراء من السلف الصالح رضوان الله عليهم.فما أحوج المسلمين اليوم إلى عودة جادة وصادقة لانتهاج سبيل الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في إقامة أحكام الإسلام وتطبيق حدوده ليسود الأمن والأمان مجتمعات المسلمين، ويغدو المواطن أمينا على نفسه وماله وعرضه مع التركيز على إشاعة روح المودة والمحبة والأخوة والمواطنة الصالحة بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة التي يكون أفرادها كالبنيان يشد بعضه بعضا،وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهذا هو منهاج الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، فهل من معتبر؟ وهل من مذكر؟.

(... وكونوا ، عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم . لا يظلمه، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم .كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله وعرضه)

الرسول الأسوة

يحض على خلق الحياء

17 ربيع الآخر/1428هـ وفق 2007/5/4م

ونقرأ حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، : (**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**) (صحيح البخاري / كتاب الأنبياء / باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم الكهف).

إنه الحياء، هذا الخلق الرفيع يتكلم عنه رسول الله، عليه الصلاة والسلام، لما لهذه السجية الكريمة من أثر في حياة الناس،في دينهم وأخلاقهم، ومعاملاتهم ، حتى إن النبي القدوة عليه الصلاة والسلام وصف الحياء بأنه خلق هذا الدين فقال عليه السلام (**لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء**) (موطأ مالك / كتاب حسن الخلق / باب ما جاء في الحياء).

وما من شك بأن أهل هذا الدين مختصون بهذا الخلق، فهو سجية وطبع كريم يشمل أتباع هذا الدين، وهو وصف للصالحين والعابدين والمؤمنين، لأن الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار. والبذاء هو سوء الخلق وفحش القول والجفاء إغلاظة الطبع وقساوة القلب، ولذلك ما وجد الحياء في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، إذ منشأ الحياء من رؤية آلاء المنعم، ورؤية التقصير في الشكر، فمن استحيا من الله تعالى رأى تقصيره وحاسب نفسه وألزمها منهاج الطاعة والتقوى، وهو يرى أثر نعم المولى عليه، فلا يجب أن يراه الله في موضع الذنب أو التقصير في الشكر، ويحرص على الطاعة مع حفظ الجوارح، ولعل هذا ما أراده الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو يطالب أتباعه وأصحابه بقوله: (**استحيوا من اللّه عز وجل حق الحياء، قال، قلنا يا رسول اللّه إنا نستحي والحمد للّه، قال:ليس ذلك ولكن من استحى من اللّه حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، وليحفظ البطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللّه عز وجل حق الحياء**) (مسند أحمد / مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه).

وهكذا يجد المسلم نفسه وهو يعيش مع خلق الحياء مراقبا من الله عز وجل في جميع تصرفاته وأعماله وأقواله، ضابطا لجوارحه من فعل الشر أو المنكر الذي يقود إلى الذنب والجفاء والنار، ويعرض عن ملذات الدنيا حياء من الله تعالى، ويقبل على فعل الخير طمعا في ثواب الله ومرضاته، وألاّ يراه الله في موقف يستحي أن يراه الله فيه. ومن كان كذلك فقد استحيا من الله حق الحياء وحاز شعبة من شعب الإيمان، إلا وهي شعبة الحياء، فالرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، يقول: (**الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا اله إلا اللّه وأضعفها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**) (سنن النسائي (المجتبي) / كتاب الإيمان وشرائعه / باب ذكر شعب الإيمان) .

فالإيمان يبدأ بالإقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته وفق هذا الإقرار، وهذا أعلى وأفضل شعب الإيمان الذي يتحدد بموجبه علاقة العبد بربه، ثم يتفرع الإيمان إلى شعب أخرى كالعبادات،والمعاملات والأخلاق،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس ومحبة الخير لهم والعدل والإنصاف في القضاء،وعدم الفجور في الخصومة إلى غير ذلك مما يشمل جوانب الحياة كلها،حتى إزالة الأذى عن الطريق.

وهكذا يستوعب الإيمان الحياة كلها كما يشكل الحياء شعبة رئيسة من شعب الإيمان الذي ينتج عنه العمل الصالح ومحبة الخير والهداية للبشرية جمعاء.في ظل أخلاق الإسلام الكريمة ومنها خلق الحياء.

هذا هو الخلق العظيم الذي نحتاجه اليوم أكثر من أي وقت آخر، ليسود مجتمعنا الفلسطيني، بل ليسود المجتمعات العربية والإسلامية التي دب فيها الفساد جراء بعدها عن هذا الخلق النبيل، وهو خلق الحياء الذي إن تركه الإنسان أو المجتمع، فعل ما لا يليق بإنسان فضلا عما يليق بمسلم.

فهل من الحياء أن تتوجه الزوجة أو الأخت أو البنت لتشكو زوجها أو أخاها أو أباها أمام محاكم الاحتلال؛ لأنه زجرها عن فعل يخدش الحياء، ويمس الكرامة ويجاوز حدود الأخلاق

الفاضلة، إن مثل هذه التصرفات تنذر بخطر يدهم الأسرة، ويعمل على تفكيكها وتفتيتها، كما يؤثر على حق القوامة للرجل في بيته وأهله.

وقد خاطبه الله بقوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) (التحريم: 6).

إننا نريد لمجتمعنا ولأمتنا أن يكون خلق الحياء رائد هذا المجتمع وهذه الأمة كما كان الحياء رائداً للفضائل والمكارم في سلفنا الصالح الذين رباهم الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم.

فلا خير في الحياة إذا فقد الحياء.

ولله در القائل :

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العودُ ما بقي اللحاءُ

فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

(الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا اله إلا اللّه، وأضعفها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)

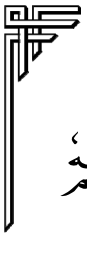

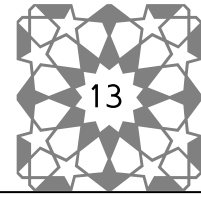

23/ربيع الآخر/1428هـ وفق 11/5/2007م

يبين المفلس من أمته

يسأل الرسول القدوة، عليه الصلاة والسلام، أصحابه عن المفلس ؟ فيكون جواب الصحابة كما هو المألوف في هذه الدنيا ووفق معاييرها ومقاييسها . المفلس يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع.

ولكن الرسول صاحب الرسالة العظيمة الذي خبر الدنيا وعرف معاييرها، وعلم ما أعده الله للمؤمنين في الآخرة يجيب الصحابة بجواب آخر عن المفلس ، لأن الإفلاس الحقيقي أن يُخرج الإنسان من حسناته يوم القيامة، وهذه هي الخسارة الحقيقية ، فيقول الرسول، صلى الله عليه وسلم، : (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم)

وإذا كانت النتيجة في الآخرة على هذا الوجه، فإن الخسارة المدمرة والإفلاس الذي لا إفلاس مثله هو هذا الخسران المبين في الدار الآخرة، ومن خسر الآخرة خسر نفسه وأهله وماله.

ووفق هذه الاعتبارات ، وهذا المنظور الإسلامي العملي في مقياس الربح والخسارة، فكل مسلم مدعو اليوم قبل الغد أن يراجع أعماله ويزنها بميزان الربح الذي نصبه الله للعباد حتى يفوز ويربح في الآخرة ولا تضيع أعماله هباء منثورا ، حتى لو جاء بصلاة وصيام وزكاة .

فالخاسر والمفلس من خسر الآخرة، والرابح من خسر الدنيا وفق جميع مقاييسها، وفاز بالآخرة وفق معيار الفوز بها والنجاة من النار .

فهذا الذي لقي ربه بلا دراهم وأمتعة، وتخلى عن قصور الدنيا وزخارفها ومفاتنها، وتاجر مع الله تجارة رابحة ترجح فيها موازينه في الآخرة عندما توزن الأعمال على أصحابها، فيرجح ميزانه

ويكون من الرابحين والفائزين برضوان الله ، وممن أكرمهم الله بدار كرامته في جنات النعيم ومثلها لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فهلا اختار كل واحد منا هذه الصفقة الرابحة، وأقبل على فعل الخيرات بنية صادقة وعزيمة ماضية وإخلاص لا يشوبه شرك أو رياء ، أو طلب سمعة وشهرة ، وتوبة نصوح نقلع بها عن جميع المعاصي والآثام ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ (التحريم:8) وقال تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (النور:31) .

فلا ينبغي لعاقل أن يجعل أعماله وتصرفاته خليطاً من الخير والشر بل يتحرى وجه الصواب والخير في جميع أعماله الدينية والدنيوية لأن كل عمل ابن آدم إذا قرنه بنية الطاعة لله كان له به أجر حتى الطعام والشراب الذي لا بد منه لاستمرار العيش والحياة .

فالعبادات التي هي علاقة بين العبد وربه ، والمعاملات التي يحتاجها الناس في حياتهم من بيع وشراء وإجارة وغير ذلك ، والأخلاق الكريمة التي تبدأ بالكلمة الطيبة أو الابتسامة في وجه أخيك المسلم، والتحية الحسنة من مكارم الأخلاق والمروءات ، كل هذا يمكن أن يكون حسنات في ميزان أحدنا عند الله ـتعالىـ يوم نلقاه إن شاء الله من الرابحين وفق بيان الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم؛ بعيداً عن الإفلاس والمفلسين.

أعاذنا الله من ذلك ،إنه نعم المولى ونعم النصير

(إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)

1/جمادى الأولى/1428هـ وفق 18/5/2007م

يضع حدوداً لعلاقات المسلمين

نقرأ حديث الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه) (صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه). لنجد محددات لا يجوز تجاوزها في علاقة المسلم بأخيه المسلم وعلاقات المسلمين مع بعضهم بعضا. هذه العلاقات التي تقوم على الأخوة الإسلامية، وترتبط برباط وثيق من العقيدة الإيمانية التي جعلت المسلم أخا المسلم ليكون مجتمع الإيمان قوياً ومتماسكاً وصلباً كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ويخاطب النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا المجتمع الإيماني في يوم عيدهم في حجة الوداع مؤكدا هذه المحددات (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت) (صحيح البخاري / كتاب الحج / باب الخطبة أيام منى).

وبهذه المقارنة والمقاربة يتضح لكل مسلم مدى حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم. فكما أن يوم النحر من الأيام الحرم من الشهر الحرام الذي لا تسفك فيه الدماء، وتتوقف فيه الحرب وهو شهر ذي الحجة، وكذلك حرمة مكة التي حرم الله فيها سفك الدماء وحرم صيدها وجعلها حرماً آمناً ، لم تحل لأحد إلا ساعة من نهار أحلها الله لنبيه، صلى الله عليه وسلم، يوم دخلها فاتحاً وحافظ على حرمتها أن تنتهك ، فهي حرام إلى يوم القيامة.

فهذا التحريم لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم مستمر مع الزمان والمكان كحرمة يوم النحر وشهره والبلد الحرام الذي حرمه الله وجعله حرماً أمناً يتخطف الناس من حوله.

بل إن دم المسلم أعظم حرمة من هذا البيت العتيق الذي جعله الله حرما ومن دخله كان أمناً بأمن الله، وإن هذا التشبيه لحرمة دم المسلم وماله وعرضه بالمحددات المحسوسة باليوم والشهر والبلد، ليرسخ في ذهن المسلم مدى الحرمة التي يتمتع بها المسلم في صون دمه، وماله، وعرضه ليبقى المسلم بعيدا عن الوقوع في انتهاك أحد هذه المحرمات التي وضع الله سبحانه وتعالى عقوبات القصاص والحدود لحمايتها من اعتداء ذوي النفوس المريضة أو الضعيفة أو الشريرة التي تنتهك الحرمات، وتتجاوز المحرمات، فكان القصاص لمن اعتدى على أخيه المسلم فسفك دمه بغير حق والله يقول (وَلَكُم فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة : 179).

لأن دم المؤمن لا يحل إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة، وغير ذلك هو اعتداء على حرمة دم المسلم.

كما أن مال المسلم وعرضه مصونان بحد القطع، لمن سولت له نفسه الاعتداء على مال أخيه المسلم بالسرقة، وبحد القذف لمن سولت له نفسه الاعتداء على عرض أخيه المسلم.

وبهذه الحدود والقصاص زجرت النفوس الضعيفة عن النيل من دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم على امتداد فترة الحكم الإسلامي التي حرص فيها الحكام على تطبيق أحكام الشريعة في المجتمع الإسلامي.

ولما غاب تطبيق هذه الأحكام عن ساحة المسلمين، انتشرت الفوضى، وعمت الجريمة وفقد الأمن والأمان على النفس والمال والعرض، وتعدى ذلك إلى الدين والحياة.

وهذه ضرورات لا تقوم الحياة بدونها، ومن أجل بقائها واستمرارها كانت جميع الأحكام الشرعية التي تحافظ عليها، وتيسر سبل استمرار الحياة بها آمنة مطمئنة.

ولو نظرنا إلى مجتمعنا الفلسطيني، لوجدنا مع الأسف الشديد انتهاكا وتعديا على هذه الحرمات، فالدماء البريئة تسفك على يد الإخوة، كما تنهش الأعراض، وتنتهك بأبشع الجرائم

التي يندى لها الجبين، ولعل ما حصل للطفلتين اللتين باعهما أبوهما يمثل سلوكاً هابطاً لدى البائع والمشتري وصل إلى حد الدياثة والدناءة والتسفل في انتهاك الأعراض. كما أن جرائم القتل التي انتشرت في المجتمع الفلسطيني أصبحت سلوكاً شائناً خرج به مقترفوها عن كل القيم الدينية و الأخلاقية والوطنية.

وهي في كثير من أحوالها ترتبط بنهب مال ضحاياها، كما حصل مؤخرا في مدينة القدس هذه المدينة التي سلبها الاحتلال أمنها وأخلاقها، وأثّر في كثير من قيمها، بل في هويتها ونسيجها الاجتماعي.

فهلا تنبه كل المسؤولين والعقلاء والغيورين للمحافظة على الوجه المشرق لهذه المدينة الطاهرة المقدسة، وهلا عمل كل أبناء فلسطين على المحافظة على المحددات التي جعلت كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله.تأسيا بالرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، وبهذا نحوز شرف اتباعه، والانتساب إلى أمته الكريمة.

(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت)

يدعو المسلم إلى نصرة أخيه المسلم

ونقف على هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، في منع الظلم فيما رواه انس، رضي الله عنه، قال: (قال رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم،: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقال رجل: يا رسول اللّه، أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره)) (صحيح البخاري / كتاب الإكراه/ باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه).

دعوة واضحة يوجهها رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم، إلى الأفراد والجماعة والأمة يحثهم فيها على منع الظلم ونصرة المظلوم بإيصاله إلى حقه، والوقوف إلى جانبه حتى يُدفع عنه الظلم ، ويُؤخذ له بحقه، وإن كان ظالما أخذ له من نفسه، ورده عن التمادي في ظلمه وفي غيه، وفي هذا نصرة للظالم حتى لا يستمر في ظلمه وعدوانه وتجاوزه حدود العدالة والإنصاف.

إذ الأصل في التعامل فيما بين المسلمين في جميع شؤون الحياة أن يقوم على العدل والإنصاف، وإيتاء كل ذي حق حقه، ويتعدى ذلك الى التعامل مع جميع بني الإنسان، فقد حرم الله الظلم وذمه في كثير من آيات القرآن الكريم، وقرنه بالشرك في قوله تعالى (يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ) (لقمان: 13). وجعل الظلم سبباً في هلاك الأمم فقال تعالى : (وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ) (القصص: 59).

وكان ميزان العدل والعدالة في الآخرة منع الظلم فقال تعالى : (لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ) (غافر: 17). ولشدة آثار الظلم على الحياة والأحياء فقد حرمه الله على نفسه

فجاء في الحديث القدسي (**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما. فلا تظالموا**) (صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم).

أفبعد هذا البيان من الله تعالى ومن رسوله الأسوة، صلى الله عليه وسلم، لتحريم الظلم وبيان أضراره والتحذير من الوقوع فيه بقي عذر لمن يمارس الظلم على نفسه أو على غيره ؟. فظلم الإنسان لنفسه يكون باتباع الهوى وإطلاق العنان للنفس بوقوعها في المعاصي والآثام، أو اقتراف المنكرات، وظلم الآخرين يكون بالتعدي على أعراضهم أو أموالهم أو حقوقهم بغير وجه حق بتجاوز كل حدود الدين والأخلاق والآداب الاجتماعية التي قررها الدين، وحث عليها الإسلام العظيم.

وإذا تتبعنا أخبار الأمم الماضية من القرآن الكريم، وجدنا أن هلاك الأمم كان بسبب الظلم الذي بلغ مداه في إنكار الرسالات وتكذيب الرسل من ذلك قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود : 102) **صدق الله العظيم. وقوله تعالى** ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ (الأنبياء: 11).

وقد حرم الله كثيرا من النعم على أمم سبقت بسبب ظلمهم فقال تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء : 160) . **ومنع الظلم سبب في عدم الهلاك ورفع العقوبة كما في قوله تعالى** (**وَمَا** ﴿كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود : 117).

وفي معرض التنفير من الظلم وصف الله الكافرين بأنهم ظالمون فقال تعالى : ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة : 254). كما وصف الذين يتجاوزون حـــدود الله بالظلم فقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة : 229).

فالظلم الذي هو تجاوز للعدل والإنصاف وعدم الاعتدال في كل الأمور هو الـذي حرمـه الله على نفسه وحرمه على عباده حتى لا يقعـوا في ظلـم أنفـسهم أو ظلـم غيرهـم جعلـه الله مقارنـا للشرك أو هو جزء منه،أو هو الشرك بعينه.كما جعله الله سببا لإهلاك الأمم.

وإن الناظر في أحوال الأمم السابقة يجدها حينما طغت وظلمت اسـتوجبت عقـاب الله تعـالى بالهلاك والزوال. وهذه سنة الله في الأمم. ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فهلا أخذنا بهدي النبي، صلى الله عليه وسلم، واجتهـدنا في نـصرة بعـضنا بعـضا لمنـع الظلـم واجتثاث أسبابه من بيننا فنصرنا بعضنا بعضا بمنع الظالم منا عن الاستمرار في ظلمه، وحجزه عن هذا الظلم، وإنصاف المظلوم بأخذ الحق له وهذا هو نصره.و هذه مهمة عظيمة يجـب علـى كـل مسؤول أن ينهض بها. وان يتعاون الجميع على القيـام بهـا حتـى يـسود العـدل وينقـضي الظلـم ويعم الأمن ليعيش المجتمع في طمأنينة على نفسه وماله، وعرضه بعيدا عن الظلـم ومظـاهره الـتي منها الفتن الداخلية بشيوع الفوضى والفلتان الأمني والاقتتـال الـداخلي وأخـذ الظـالمين للقـانون بأيديهم ليعيثوا في الأرض فساداً بعيداً عن ملاحقة القانون الذي ينزل بهـم العقوبـة الرادعـة لمـا يقترفونه من ظلم للآخرين .

وهذا واجب الجميع في أرضنا المباركة، فعلى السلطة أن تقوم بواجبها بفرض النظام والقانون على الجميع لتقضي على كل مظاهر الظلم التي تسود مجتمعنا.

وهذا لا يتم إلا بتعاون الفصائل والعشائر، وأهل الخير والإصلاح والمواطنين جميعا لمنع الظالمين من ظلمهم، وإنصاف المظلومين ونصرتهم، وبهذا العمل الصالح والمصلح نكون قد حققنا الإقتداء بالرسول الأسوة ـصلى الله عليه وسلمـ ونصرنا الظالم بمنعه عن الظلم والمظلوم بإيصال الحق له كما فعل خليفة المسلمين الأول أبو بكر الصديق، رضي الله عنه ، وهو يخاطب المسلمين. بقوله (والقوي منكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له).

(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره)

يوضح منزلة الشهداء عند ربهم

في معرض تكريم الشهيد والشهداء نقرأ حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن**) (صحيح مسلم / كتاب الإمارة / باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين) .

إنه تكريم عظيم من الله للشهداء بتكفير خطاياهم وغفران ذنوبهم فمن جاد بروحه في سبيل الله، وهو يخوض معارك الشرف والفداء والعطاء ذوداً عن دينه أو عقيدته ودفاعاً عن كرامة الأمة وحرية شعوبها من فعل هذا كان جديراً بالتكريم الذي أعده الله للشهداء .

وأعظم بهذا التكريم الذي تولاه رب العزة جل في علاه فهو القائل لعباده : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:154).

وهو المخبر لأهل أرضه وسماواته بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (آل عمران:169-170).

فنحن ـ بنو البشر ـ نظن أن من انتهت حياته من بيننا أنه قد مات وانتهى إلى مصير لا نعلمه، ولا نعرف عنه إلا النزر اليسير؛ لأنه من المغيبات عن معارفنا ومداركنا، ونحن نؤمن بالغيب جزءاً مهماً من مرتكزات العقيدة التي لا يكتمل الإيمان إلا بها .

وقد تولى الله سبحانه وتعالى بيان هذا التكريم للشهداء فأخبرنا بأنهم أحياء عند ربهم وبالتأكيد فإن هذه الحياة ليست كحياتهم بيننا، بل حياة تليق بهم وبتكريم الله لهم، حياة عند الله سبحانه وتعالى يرزقون فيها برزق كريم من رب كريم اختص الله به الشهداء ففرحوا واستبشروا بمن خلفهم أن ينالوا مثل منزلتهم، ويفوزوا بالثواب والرضوان والكرامة والمنزلة التي اختص الله بها الشهداء، وحسبهم أنهم في معية الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا .

ويضاف إلى هذا الفضل العظيم والثواب الجزيل أن الشهيد يغفر له كل ذنوبه فضلاً من الله وكرماً أليس من أسمائه الكريم والغفور والعفو ؟. وأي إنسان أحق بهذا الكرم والعفو والمغفرة من الشهيد الذي اتخذه الله شهيداً ؟ ومنحه هذا الوسام المتميز وسام الشهادة والكرامة .

فالله سبحانه يتجاوز للشهيد عن كل ذنوبه، ويعفي الشهيد من سائر حقوقه إظهاراً لمنزلة الشهيد، وما أعده الله من الجزاء له في دار كرامته ومستقر مثوبته في جنان الخلد التي وعد الله عباده الطائعين، وكان للشهداء النصيب الوافر منها بعد أن أمنوا فتنة القبر، ويوم الفزع الأكبر وغفرت ذنوبهم مع تدفق دمائهم الزكية على ثرى أرض الله الطاهرة .

فهنيئاً للشهداء بهذه المنزلة الرفيعة والكرامة الجليلة التي منحهم إياها ربهم حينما كانت وجهتهم إليه ونيتهم خالصة لوجهه، ولم يطلبوا الدنيا التي خرجوا منها ضيقاً بها أو هرباً من فتنتها وقد اختاروا سبيل الله طريقاً لهم فأنزلهم عالم الغيب والشهادة، وعالم النيات والخفايا، ما يليق بهذا السبيل وسالكيه من الشهداء الذين اتخذهم الله منا نحن أمة الإسلام .

وإذا كانت كل هذه الكرامة للشهداء عند الله إلا أن حقوق العباد ومنها الدَّين تبقى في ذمة هؤلاء الشهداء ومن هنا يتوجب على المسلم أن لا يشغل ذمته بحقوق العباد، وأن يعمل دائماً على أن تكون ذمته خالية من أي حق من حقوق العباد ؛ لأن العبد يحرص على استيفاء حقه في الآخرة، من حسنات من شغلت ذمته بهذا الحق، ولو كان شهيداً أكرمه الله بمغفرة وعفا الله عن سائر حقوقه .

فليحرص الإنسان منا أن تكون ذمته خالية من أي حق من حقوق العباد حتى يلقى الله إذا قدرت له الشهادة، أو لقي الله بانتهاء أجله، وهو بريء من أي دَّين أو حق للعباد .

فقد وعد الله سائر عباده بمغفرة من الذنوب إن هم لقوه لا يشركون به شيئا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ (النساء:48).

فاعملوا أيها الأحبة على التأسي بهدي رسولكم الأسوة، صلى الله عليه وسلم، حتى تفوزوا بعزة الدنيا وكرامة الآخرة .

(يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّيْن)

يعلم المسلمين آداب الجلوس

ونقرأ حديث الرسول القدوة عليه الصلاة والسلام الذي رواه نافع قال سمعت ابن عمر يقول (نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه. قلت لنافع: الجمعة ؟ قال : الجمعة وغيرها ولكن تفسحوا وتوسعوا) (صحيح البخاري / كتاب الجمعة / باب لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد في .....) .

توجيه نبوي شريف وأدب رفيع من آداب الجلوس في المساجد.حيث الجلوس في المساجد للصلاة أو انتظارها مباح لكل من سبق الى موضعه المباح الذي سبق إليه.فالمسجد هو بيت الله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ) (النور:36) (وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا) (الجن آية:18).

والمساجد هي مكان العبادة، والذكر، وتلاوة القرآن ،ومدرسة الفقه والعلم.ورسالتها نشر الدعوة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وهي رسالة عظيمة تؤدي إلى تحقيق الغايات الجليلة.

ويعلمنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، آداب الجلوس في المساجد مبيناً انه لا يجوز لأحد أن يقيم أخاه من موضع جلوسه في المسجد ليجلس هو مكانه.فلا توجد أحقية للجلوس في موضع معين من المسجد لأحد دون غيره من الناس، فالغاية من وجود الناس في المسجد هي غاية واضحة، فالجميع موجود لأداء الصلاة وخاصة في يوم الجمعة، حيث يجري التزاحم على الصفوف الأولى أو لا يتسع المسجد لجميع المصلين .وفي هذه الحالات يجب أن يجلس الإنسان حيث ينتهي به المجلس دون مزاحمة أو إيذاء للمصلين بتخطي رقابهم؛ لما ورد أن رجلا جاء يوم

الجمعة يتخطى رقاب الناس والنبي، صلى الله عليه وسلم، يخطب .فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : (اجلس فقد آذيت) (سنن أبي داود / كتاب الصلاة / باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة)

إذ إن تخطي الرقاب يؤذي المصلين، كما أن إزاحة المسلم عن المكان الذي سبق إليه من المسجد أذاها أشد، لما فيها من الإساءة لمشاعر أخيك المسلم الذي سبقك في المجيء إلى المسجد ، وجلس في المكان الذي تحاول أنت إزاحته عنه.

فمن كان حريصاً على أن يكون في الصفوف المتقدمة من المسجد، أو في مكان من المسجد يحرص على الجلوس فيه، فعليه أن يحضر إلى المسجد مبكراً، وقبل حضور الآخرين ؛ لأن المسجد لا يتعين فيه مكان لمسلم دون مسلم، فكل مسلم يباح له أن يجلس في المكان الذي سبق إليه سواء أكان ذلك في يوم الجمعة أم في غيره من الأيام.

وهذا أدب عظيم من آداب المساجد حتى لا يؤذي المصلون بعضهم بعضاً في الجلوس أو المزاحمة على مكان محدد من المسجد.

وأنه لمن المؤسف أن نرى كثيراً من المصلين في كثير من المساجد وبخاصة المسجد الأقصى المبارك يحاولون تحديد أماكن جلوسهم وتعيينها في المسجد، حتى إذا سبقهم إليها غيرهم من المصلين حاولوا إزعاجهم أو إبعادهم عن هذه الأمكنة،وكأن هذه الأماكن قد أصبحت وقفا على هؤلاء وتعينت لهم دون غيرهم من المصلين.

وهذا التصرف هو فهم خاطئ، لحديث النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي ينهى فيه عن ان يقيم الرجل أخاه من مجلسه، ثم يجلس هو فيه.

كما أنه تجاوز لهدي النبي، عليه الصلاة والسلام، في نهيه عن تخطي الرقاب وإيذاء المصلين بذلك :فقد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي جاء إلى المسجد خلال الخطبة أن يجلس حيث انتهى به المجلس، لئلا يؤذي المسلمين بتخطي رقابهم أو مزاحمتهم على أماكن جلوسهم في المسجد.

فالأصل أن المسلم يأتي إلى المسجد امتثالاً لأمر الله تعالى لأداء العبادات، وعلى رأسها الصلاة ضمن جماعة المسلمين التي يصل ثوابها إلى خمس وعشرين درجة أو سبع وعشرين درجة، وهذا في الجماعات التي تقام في سائر المساجد.

أما في المسجد الأقصى المبارك، فإن ثواب الجماعة يتضاعف ،كما يضاعف ثواب الصلاة والعبادة إلى خمسمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء. وهذا الثواب الجزيل والأجر العظيم يحفز كل من يستطيع الوصول إلى المسجد أن يحرص دائما على شد الرحال إلى المسجد الأقصى لإعماره ، وأداء الصلاة فيه، والفوز بهذا الثواب العظيم. ونوجهها همسة عتاب لمن يقيمون صلاة الجمعة في المساجد القريبة من المسجد الأقصى، ويتركون هذا الثواب الجزيل كما يخذلون المسجد الأقصى المبارك في هذه الظروف العصيبة والخطيرة التي يمر بها المسجد الأقصى ومدينة القدس. فلنحرص يا أحباب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن نقتدي بهديه، ونستن بسنته، ونشد رحالنا كما أمرنا إلى المسجد الأقصى المبارك لزيارته وأداء الصلوات فيه ، واللبث فيه بنية الاعتكاف والرباط،والاستفادة من هذه الساعات المباركة، ونحن في المسجد الأقصى المبارك، وذلك دون مزاحمة أو إيذاء للمصلين بل ليجلس أحدنا حيث ينتهي به المجلس في المكان الشاغر،وإذا انشغلت كل الأماكن فلنفسح لبعضنا بعضا في المجلس فالله يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ (المجادلة:11)

وهذا هو هدي نبينا الأسوة، صلى الله عليه وسلم، فهلا اتبعنا هديه،وأخذنا بسنته لنكون من الفائزين.

يحذر من زمان يكثر فيه القتل

7/جمادى الآخرة/1428هـ وفق 22/6/2007م

ونقف على حديث النبي القدوة ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي يخبر فيه الأمة عن زمان يكثر فيه القتل وتعم فيه الفتن ، فيقول : (**والذي نفسي بيده ، ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل**) (صحيح مسلم / كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل....) .

إنها نبوءة من نبوءات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تحذير الأمة الإسلامية بل العالم أجمع من زمان يكثر فيه القتل ، وتعم الفوضى إلى درجة لا تجد فيها سبباً للقتل ، فلا القاتل يدري في أي شيء قتل ، كما أن المقتول لا يدري ما السبب الذي أدى إلى قتله أو استحق القتل من أجله.

وهذا الحديث الشريف والهدي النبوي الكريم من علامات النبوة وأعلامها التي تشير إلى واقع يلمسه الناس وتشعر به الشعوب؛ لأنه حالة تستشري وتنتشر بين الناس بحيث تبدو تلك الحالة ظاهرة وواضحة، بل تغدو فتناً تجتاح المجتمعات البشرية. تبدو صغيرة بسيطة في بداياتها، ويخيل للعقلاء والمخلصين من أبناء الشعب أو أبناء المجتمع سهولة تطويقها والقضاء عليها ، إلا أنها لا تلبث أن تكبر وتتسع وتصبح هي الحالة التي تعم المجتمع، وتختلط فيها الأمور ويذر منها قرن الفتنة.

ويغدو القتل أمراً مألوفاً رغم بشاعته حيث اختلاط الأمور وشيوع الفوضى واستشراف الفتن، وما أكثر المستشرفين لها حينئذ ظناً منهم أنهم يحسنون صنعاً، أو يخلطون عملاً صالحاً بآخر سيء بالرغم من فظاعة القتل ، وما يترتب عليه من تبعات . فلا القاتل يدري في أي شيء قَتل ، كما أن المقتول لا يدري على أي شيء قُتل . رحماك يا رب ، فمن أسمائك الحسنى

اللطيف ، فالطف بنا وارحمنا وجنبنا الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأهدِ قومي للتي هي أقوم ، إنك أهل لذلك والقادر عليه .

وإزاء هذه الحالة التي انتشر فيها القتل بين الناس وبخاصة في كثير من أبناء الشعوب المتخلفة في مجاهل أفريقيا، أو شعوب الأمة الإسلامية التي يتعرض كثير من شعوبها لغزو خارجي أو لفتن داخلية يثيرها أبناؤها، ويذكيها من له مصلحة إقليمية أو دولية لتحقيق أغراضه وتنفيذ أهدافه ، والمحصلة لذلك كله خسارة الشعوب لأبنائها ومقدراتهم، وبسط سيطرة الغازي والمحتل، وانتشار فوضى القتل التي يصعب وقفها ويعم ضررها ،وتشتعل نارها التي تحرق أول ما تحرق أولئك الذين أشعلوها وظاهروا على إشعالها ، وكأنهم في معزل عن آيا ت الله البينات التي حذرت من الفتن والقتل، وجعلت الفتنة أكبر من القتل في قوله تعالى (وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ) (البقرة:191) ، وفي آية أخرى : (وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ) (البقرة:217).

وفي قوله تعالى في معرض الحديث عن جريمة القتل الأولى فوق هذه الأرض وهي خطيئة ابن آدم ، قال تعالى : (مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا) (المائدة:32).

فالنفس الإنسانية التي تزهق بغير حق وتقتل دون علمها لماذا قتلت يمثل قتلها عدواناً على كل البشرية .

فأي قيم أسمى وأعلى من هذه القيم ؟ وهذه المبادئ التي بينها الله لنا وللبشرية جمعاء في محكم تنزيله وفي هدي نبيه المصطفى – صلى الله عليه وسلم – الذي يقول (**لزوال الدنيا أهون على اللّه من قتل رجل مسلم**) (سنن الترمذي / كتاب الديات عن رسول الله / باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن....).

والذي يقول : (**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة**)

(صحيح البخاري / كتاب الديات / باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس والعين).

فالنفس بالنفس هي حالة القصاص في القتل العمد متى ثبت هذا القتل بموجب التحقيق في الجريمة، والذي يتولى تنفيذه الولي أمام السلطان أو السلطان نفسه إذا أصر الولي على القصاص ولا تترك الأمور فوضى لأمزجة الناس ، وكذلك رجم الثيب الزاني يتم بأمر السلطان أو الحاكم.

أما المرتد عن الدين والمفارق لجماعة المسلمين ، فلا بد كذلك أن تثبت ردته بما يشير قطعاً أنه ترك دينه، وخرج من ربقة الإسلام ، وذلك بإنكاره ما علم من الدين بالضرورة كواحد من أركان الإيمان، أو أركان الإسلام كما فعل مانعو الزكاة في زمان أبي بكر الصديق – رضي الله عنه ـ ، وكما فعل مدعو النبوة كمسيلمة وسجاح ، أما فتاوى التكفير ، فهي ظاهرة خطيرة بدأت تتسلل إلى مجتمعاتنا الإسلامية وفق منظور تكفيري بعيد عن روح ديننا الحنيف وتعاليمه وتشريعاته، فهي من الفتن التي تمهد للقتل لمجرد القتل دون سبب أو بينه، وهي الركيزة لمن يستحلون دماء المسلمين التي عصمها الله وحرمها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله : (**فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم**) (صحيح البخاري / كتاب العلم / باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب). فهلا تنبه أبناء شعبنا الصابر المرابط إلى هذه الفتنة التي تزهق فيها أرواح أبنائنا، ولا يدري القاتل فيما قتل ، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل .

فكونوا جميعاً يداً واحدة على إطفاء الفتنة، وحقن الدماء، وكونوا إخوة كما أراد الله : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات: 10). وكما أراد رسوله الأسوة – صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله**) (مسند أحمد / حديث شيخ من بني سليط رضي الله تعالى عنه)، وقوله : (**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**) (سنن ابن ماجة /كتاب الفتن / باب حرمة دم المؤمن وماله) .

اللهم ارزقنا يقيناً يحمينا من الفتن ، وإيماناً يضيء لنا الطريق حتى لا نضل ، وأمناً يحقن دماءنا ويحمي أعراضنا إنك أنت الرؤوف الرحيم .

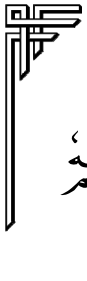

الرسول الأسوة محمد صلى الله عليه وسلم

يحث على الأخلاق الكريمة

وتصف أمنا عائشة رضي الله عنها، خلق النبي، صلى الله عليه وسلم، جواباً لمن سألها دخلنا على عائشة فقلنا: (يا أم المؤمنين ! ما كان خلق رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم،؟ قالت :كان خلقه القرآن) (مسند أحمد / حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)

إنه وصف جامع لأخلاق النبي الأسوة، عليه أفضل الصلاة والسلام، يصدر من أقرب الناس إليه من زوجه أم المؤمنين التي خبرت بفطنتها وذكائها،ومعاشرتها للنبي صلى الله عليه وسلم واطلعت على صفاته الشريفة وأخلاقه الكريمة التي وهبها الله تعالى له وجبله عليها وزكاه بها وكيف لا وهو حبيب رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين وسيد أولي العزم من الرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ،إمامهم في الدنيا في المسجد الأقصى ليلة الإسراء به.

وصاحب لواء الحمد يوم القيامة وصاحب الشفاعة للعالمين أجمعين . لكل هذا أو لغيره من الحكمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى اختص الله سبحانه رسوله الكريم وصفيّه الأمين بهذا الخلق العظيم الذي وسع العرب والعجم والأبيض والأسود والسيد والمسود ،والشريف والوضيع والبعيد والقريب واللين والغليظ ،فسبحان من خصه بمكارم الخصال، وأكرمه بالجاه العريض والنسب الشريف وهيّأه لحمل رسالة الإسلام، رسالة الخلق والإيمان والدعوة للتي هي أحسن ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الغواية إلى الهداية، ومن عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، وكل ذلك بصبر وثبات وتحمل لتجهّم القريب وأذى البعيد ،وإذا ما جاء ملك العذاب يستأذن النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ أن يطبق الأخشبين (الجبلين) على أهل الطائف بعد أن آذوا رسول الله، وأغروا صبيانهم برميه بالحجارة التي أدمت قدميه أو ينزل العقاب بأهل مكة الذين جرحوا الوجه الكريم، وكسروا رباعية النبي عليه الصلاة والسلام يوم أحد، يكون دعاء

صاحب الخلق الكريم، والصدر الواسع الحليم على من آذوْه "اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون" ويأمل الذي تحمل الأذى أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، ولذلك كان قول الأمين جبريل عليه السلام مادحاً الأمين محمداً صدق من سماك رحمة للعالمين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ (ال عمران:159)

وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة:128)

وهذا ما سطره القرآن ونطق به البيان الذي ما بعده بيان بسمو أخلاق المصطفى عليه الصلاة والسلام ،الذي حاز كمال الخلْق والخلُق فكان الإنسان الكامل في أحسن تقويم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:4) فلم يترك القرآن خلقاً كريماً أو شأناً عظيماً إلا تحدث عنه وقصه علينا لنأخذ به في جميع مناحي حياتنا لنفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، فقد جاء في الأثر (**تخلقوا بأخلاق الله**). أليس القرآن الكريم هو كلام الله القديم الذي أنزله على قلب الرسول الكريم ليكون هدى ونورا للعالمين بشيرا ونذيرا، بلى إنه كذلك، وهو خلق النبي، عليه الصلاة والسلام، كما وصفته سيدتنا عائشة، رضي الله عنها، بقولها : "**كان خلقه القرآن**" فهل لواصف بعد هذا الوصف لأخلاق النبي، عليه الصلاة والسلام، مقال؟ إلا ان يفسر أو يوضح أو يشير أو يعبر عن هذا الوصف العظيم، والنعت الكريم لخلق النبي، صلى الله عليه وسلم. هذا القران الكريم الذي أنزل على نبي كريم عظيم فيه من الأحكام ما ينظم الحياة

بأسرها ويسعدها، ومن الأخلاق والعبادات ما يهذب النفس ويصلحها، ومن بساطة العقيدة وفطرتها ما يجذب النفوس الخيرة إلى اعتناقها وتذوقها ،ومن القصص ومآل الأمم الماضية عبرة للسائرين نحو العزة في الدنيا والفوز بالآخرة. وإذا كان القرآن كتاب الحق و الهداية المقروء، فإن الكون الذي تحدث عنه القرآن هو كتاب الله المنظور وفي كلا الكتابين نور وهدى (يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (المائدة:16) ولما كان القرآن خلق النبي، صلى الله عليه وسلم، فقد مثل النبي عليه الصلاة والسلام النموذج الحي والقدوة الحسنة والصورة المتكاملة لمنهاج القرآن في الصورة الآدمية الكاملة التي استوعبت أخلاق القرآن وقيمه، وطبقته عملا وقولا وفعلا وحالا، حتى غدا القرآن صورة حية ناطقة في شخص النبي عليه الصلاة و السلام وفي أشخاص أصحابه الذين تربوا في مدرسة الرسالة والرسول والدعوة والداعية، فاستحقوا بهذا الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة فقال الله فيهم (رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ) (التوبة: 100) (۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: 18) وقال عنهم (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ..) (الفتح:29) وقال عنهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) (صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم...)

فالله نسأل أن نكون كذلك وان يكرمنا بالتخلق بأخلاق القرآن، وخلق الرسول الأسوة عليه الصلاة والسلام الذي كان خلقه القرآن.

هدية في حق الجار

ونقرأ فيما رواه ابن عمر وعائشة، رضي الله عنهما، قالا:قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**) (صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب الوصاة بالجار وقول الله واعبدوا الله ولا ....).

بيان عظيم وهدي كريم يوصي به أمين السماء جبريل، عليه السلام، أمين الأرض ورسول الخير والأخلاق محمداً، صلى الله عليه وسلم، وهذا البيان المهم يتعلق بأمر اجتماعي وحياتي وأخلاقي إنه الجار وحقوقه. والمعاملة الطيبة التي يجب أن تسود أبناء المجتمع الذي يبدأ بالأسرة وما يحيط بها ويتجاوزها من الأسر لتكوين المجتمع المتآلف والمتجاور القائم على احترام حقوق الجوار ، هذه الحقوق التي تتسع وتمتد لتشمل القرية والمدينة والحضر والريف حيث الجوار المتصل والمترابط بين بيوتها وأسرها . وهذا يشكل المجتمع الكبير الذي يتكون منه الشعب ، فالجوار رباط وثيق بين أبناء المجتمع إذا ما طبقت حدود الجيرة والجوار .إذ عدّ بعض العلماء أن الجوار يصل إلى حدود أربعين بيتاً من الجهات الأربع لكل بيت ، وبهذا المفهوم يكون سكان القرية أو المدينة أو البادية جيران لبعضهم بعضا مما يوثق الصلات بين الجيران إذا ما طبقوا هدي النبي عليه الصلاة والسلام في رعاية حقوق الجيرة والجوار .

وفي هذا الشأن يوصي الله تعالى عباده بأمهات الإيمان والعبادة، ووجوه البر والإحسان ومنها الإحسان إلى الجار القريب والبعيد والجار في السفر فيقول تعالى : (۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ) (النساء:36).

وهذه الآية الكريمة أصل عظيم في بيان أهمية الإحسان والحث، عليه فأولى الناس به الوالدان، وقد قرن الله معهما القرابة واليتيم والمسكين والجار القريب والبعيد والصاحب بالجنب أي في السفر، وما ذلك إلا لأهمية حقوق الجار والعناية به والمحافظة عليه. والجيرة شاملة للمسلم وغير المسلم إذ الوصية بالجار على عمومها، وقد كان الرسول الأسوة عليه الصلاة والسلام يزور جاره الكتابي وعمل بهذا الصحابة الكرام والسلف الصالح والخلف إلى يومنا الحاضر انطلاقاً من الأخلاق الإسلامية التي أوصت بالجار خيراً .

إذ من حقوق الجار على جاره إذا استعانه أن يعينه، وإذا استقرضه، أي طلب قرضاً أن يقرضه وأن يستر عوراته ، ويغض الطرف عن محارمه ، وإذا مرض عاده وإذا أصابه خير فرح له وهنأه ، وإذا أصابته مصيبة وقف إلى جانبه، وإذا مات تبع جنازته وعزى ذويه ، وأن لا يستطيل عليه ببنيان يحجز عنه الهواء والشمس، ولا يؤذيه في نفسه وأهله، بل يطرح السلام عليه ويهديه قدر وسعه.

ويحفظ داره وأهله إذا غاب، ويغض بصره عن نسائه ومحارمه، وينصحه في دينه ويعينه على فهم أحكامه، ويعلمه فرائضه وسننه وآدابه ، وإذا رأى منكراً أن يعمل على إزالته بالنصيحة والرفق ولا يتجسس على جاره ويكف الأذى عنه وإذا صدر منه أذى يتحمله .

وقد جعل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الإحسان إلى الجار وعدم إيذائه من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر فقال عليه الصلاة والسلام : (**من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت**) (صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ ....). ويقول عليه الصلاة والسلام : (**خير الأصحاب عند اللّه تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند اللّه خيرهم لجاره**) (سنن الترمذي / كتاب البر والصلة عن رسول الله / باب ما جاء في حق الجوار) .

وإذا كان الأمر كذلك في رعاية حق الجار والإحسان إليه ومعاملته المعاملة الطيبة الخيرة فإن إيذاء الجار أو الإساءة إليه من علامات البعد عن الإيمان ومن موجبات غضب الله تعالى

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (**واللّه لا يؤمن واللّه لا يؤمن واللّه لا يؤمن ! قيل من يا رسول اللّه ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**) (صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ...) وفي رواية لمسلم (**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**) والبوائق هي الفواحش والشرور .

ولا أظن عاقلاً يتحلى بأخلاق الإسلام، ويعرف منزلة الجار وحق الجار وحق رعايته عند الله تعالى، وما أعده الله من أجر لمن يحسن إلى جاره يترك هذه التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة، ويقوم بإيذاء الجار وانتهاك حرماته وحقوقه ليبوء والعياذ بالله بسخط الله وغضبه وعذابه .

نعوذ بالله من سوء الأخلاق وسيء الصفات، ونسأله الهداية والتوفيق إلى طريق الخير والإحسان إلى الوالدين والأقربين وسائر الجيران تأسياً بهدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي أوصى بالجار إلى غاية كاد ينزله فيها منزلة القريب الوارث .

(من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت)

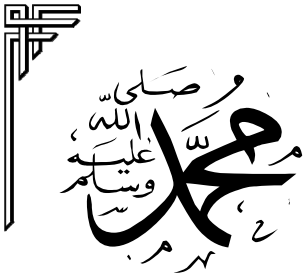

يحذر من تداعي الأمم

ونقرأ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي رواه ثوبان : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) (سنن أبي داود / كتاب الملاحم / باب في تداعي الأمم على الإسلام)

إنه الرسول الأسوة ، صلى الله عليه وسلم، يستشرف حال الأمة وهو يخترق حجب الزمان والمكان في نبوءة صادقة تصف ما نحن عليه الآن، وربما أيضا لأحوالنا قبل قرن من الزمن أو يزيد يوم تداعت علينا الأمم ،ودخلت معنا في حروب استعمارية واقتصادية وثقافية، وأول ما استهدفت تلك الأمم هذا الدين العظيم الذي جمع الأمة على اختلاف أعراقها وشعوبها في ظل عقيدته السمحة وشريعته الغراء، وميزان التفاضل بينهم : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(الحجرات:13) ورباط الإخوة بينهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات:10) وشعار الإسلام بينهم : (المسلم اخو المسلم) والحاكمية في هذا المجتمع الموصوف بالإيمان لله وحده: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ (الأنعام:57) ولما انقادت الأمة لهذا الحكم وطبقته في الأرض ونشرته بين الرعية، كانت كما وصفها الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ

ٱلْفَٰسِقُونَ) (آل عمران:110) حتى قال الفاروق عمر رضي الله عنه : من أحب أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها. وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله وحده لا شريك له.

بهذا كنا خير أمة أخرجت للناس، ولما تقاعسنا عن هذه الشروط وتفرقنا أيدي سبأ، تداعت علينا الأمم، وطمعت في بلادنا وخيراتنا، وأصبح عددنا الذي يجاوز المليار غثاءً كغثاء السيل لا حول لنا ولا قوة، هذه الغثائية التي فقدت معها الأمة مكانتها وهيبتها وطمعت بها الأمم الأخرى ،إذ إن نزع المهابة من قلوب الأعداء مرده إلى هذا التفرق والتشرذم والضعف والهوان الذي أصاب الأمة في مرحلة الغثائية التي تعيشها الأمة واقعاً ملموساً ومشاهداً ، كما أن الوهن الذي قذف في قلوب الأمة هو مرض استفحل واستشرى، ووجد سبيله إلى القلوب والنفوس حتى غدت القلوب مسودة خربة بانشغالها بمحبة الدنيا وزخارفها ومباهجها الفاتنة.وإن قلباً اشتغل صاحبه بمحبة الدنيا لينصرف عن الآخرة انصرافا كاملا،ويتوجه إلى هذه الدنيا. وإذا كان الحال كذلك لا يبالي الله في أي شعاب الدنيا اهلك صاحبه.فمحبة الدنيا رأس كل خطيئة، ومن المعروف والمعلوم أن من أشغلته الدنيا انشغل عن الآخرة، ومن تبع مغريات الدنيا انحرف عن جادة الصواب، وأصبح لا يحب إلا ما يقربه من هذه الدنيا، ولا يرى نعيما إلا مباهج وزخارف هذه الدنيا الفانية، وكلما استزاد منها زادته بعداً عن الآخرة، ومن ابتعد عن الآخرة يصبح همه محشورا في زوايا متاع الدنيا، ينطبق عليه قول الله تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ) (الاحقاف:20) ويوم يسأل عن حياته التي كرسها للدنيا وحبها فقادته إلى النار في الآخرة يكون الجواب (مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ

نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾) (المدثر) ، إنها المقدمات تقود إلى نتائجها، وإنها الأعمال يجني المرء ثمرتها ولكن في موقف لا ينفع فيه الندم كما لا يوجد شفيع يطاع . إن محبة الدنيا وكراهية الموت هي مرض الأمة في قلبها وفي سلوكها، بل لقد استعصى هذا المرض على العلاج واستفحل في هذه الأيام . وإلا كيف يمكن أن نفسر فعل من أعان الكافر المستعمر على احتلال بلاده وديار المسلمين ؟. إنه حب الدنيا وأية دنيا ؟ إنها الدنيا الذليلة والوضيعة التي فقدت مميزاتها من العزة والكرامة والآباء والشرف. إنها الدنيا التي يتحكم فيها المستعمر ،وتتحكم فيها رغباته ومصالحه على حساب شعوب الأمة التي وصلت مرحلة الغثائية التي تعيشها واقعاً حياً . محاولة بين الفينة والأخرى ستر عوراتها بورقة التوت التي سقطت عن عورات الجميع وأصبحت العورات مكشوفة كالوجوه الكالحة والقلوب التي ما عادت تميز بين المعروف والمنكر وبين الخير والشر، بل استولى عليها حب الدنيا، وكرهت كل موت كريم في موقف كريم، يعيد للأمة عزا مفقودا، وكرامة مسلوبة، و أوطاناً مستباحة.

ألم يزين حب الدنيا قتل الأخ لأخيه ،كما يجري في كثير من بلاد العرب والمسلمين، ولعل ما يجري في العراق ولبنان والسودان والصومال وأفغانستان، وعندنا هنا في بلادنا المقدسة، وأرضنا المباركة فلسطين ديار الإسراء والمعراج أكبر شاهد ودليل على حب الدنيا وزخارفها وسلطانها الموهوم.

فأمرت النفوس وسولت لها شياطينها استباحة دماء الإخوة في العقيدة والدين والوطن لا لشيء إلا لحب الدنيا في هذه المرحلة الغثائية التي نبه إليها الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم،فهلا أخذنا بتعاليم ديننا الحنيف حتى نجتاز هذه المرحلة إلى مرحلة عز وكرامة تعيد للأمة مجدها في مرحلة القوة والوحدة وما ذلك على الله بعزيز .

والله يقول: (... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ...) (الرعد:11)

يحث على السنة الحسنة

ونجد في قول النبي عليه الصلاة والسلام وفعله ما يحث على عمل الخير وسن السنة الحسنة والعمل بها فيما رواه الصحابي الجليل جابر، رضي الله عنه، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا) (سنن الدارمي / أبواب متفرقة : في صفات النبي وفي العلم ونحوها / باب : من سن سنة حسنة أو سيئة) ولهذا الحديث الشريف والهدي النبوي الكريم مناسبة، فقد وفد على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفد من مضر وكانوا يرتدون ثياباً رثةً تبدو عليهم الحاجة والفاقة، حتى إن وجه الرسول، صلى الله عليه وسلم، تغير وبدا عليه التأثر واضحا لشعوره عليه الصلاة والسلام بهذه الحالة التي يمر بها الوفد وأتباعهم، فصلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالمسلمين ثم خطبهم وحثهم على بذل الصدقة والإحسان فقدم المسلمون ما تيسر من الصدقة، وكان اللافت للنظر ان رجلا من الأنصار رضي الله عنهم جاء بصرة من المال عجزت يده عن حملها ووضعها بين يدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فتهلل وجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فرحا وبشرا وقال هذه الكلمات الطيبة التي شكلت حجر الزاوية للسنة الحسنة التي يثاب فاعلها كما ينال الثواب الجزيل جراء قيام الآخرين باتباع هذه السنة والاقتداء بصاحبها دون ان ينقص من أجور الفاعلين والمقتدين شيئاً.

وهذا حث واضح على فعل الخير والمبادرة إليه لما في ذلك من أجر فاعل الخير، ومن اقتدى بهذا العمل وقد ورد في الحديث (الدال على الخير كفاعله) (مسند أحمد / حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه).

وفي فعل الخير والسنة الحسنة ما يشير إلى التعاون والتكاتف بين أبناء المجتمع من خلال الأعمال الخيرة التي يعود نفعها على المواطن بالثواب والأجر، وعلى المواطنين بالخير والنفع، كما تشجع السنة الحسنة ذوي النفوس الخيرة على الاقتداء بمن سن هذه السنة، وتستثير نوازع الخير في هذه النفوس للبذل والعطاء اقتداء بهذه السنة الحسنة، وهذا ما حصل في مجلس الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقد تسابق الصحابة رضوان الله عليهم إلى فعل الخير وراحوا يقتدون بهذا الصحابي الجليل الذي تصدق بالكثير، وسن سنة حسنة لأصحابه، ولمن يأتي بعدهم وقد وثقت السنة النبوية القولية هذه السنة الحسنة وحثت عليها وعلى كل سنة حسنة يبادر إليها نفر أو فرد من أبناء الأمة، ولعل في هذا الحديث الشريف ما يؤسس ويؤصل لأفعال الخير في كل زمان ومكان، وفي تعاقب الأجيال من أبناء الأمة.وذلك استناداً إلى هذا الهدي النبوي الشريف الذي بين بوضوح أجر من سن سنة حسنة وتبعه الناس في ذلك.كما يؤصل الحديث كذلك لمنع أعمال الشر ومقاومة من يسنها أو يروج لها بين أبناء الأمة.فالتحذير من وزر السنة السيئة على صاحبها وكذلك ما يلحقه من وزر المقتدين به فيه ما يردع عن فتح باب الشر من خلال السنة السيئة، وفيه ما يشير لكل عاقل بالابتعاد عن مواطن الشر، بل العمل على إغلاق أبوابه حتى لا يكون الولوج من أحد هذه الأبواب ولوجاً نحو سنة سيئة ينال فاعلها العقاب والوزر، كما يتحمل أوزار من فعلوا هذا الفعل اقتداء به.

لذلك ورد في الأثر أن ابن آدم القاتل أخاه، وهي أول جريمة قتل تقع في هذه الدنيا يتحمل وزر كل جريمة قتل وقعت بعد هذه الجريمة، لأنه أول من سن سنة سيئة بقتل أخيه، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الجريمة وما ترتب عليها من وزر حتى صور القاتل الذي سن سنة القتل كأنه قتل الناس جميعا وهذا تغليظ لوزر القاتل الذي سن سنة سيئة بقتل أخيه.وكانت سنة لمن تبعه من القتلة والمجرمين في الوقت الذي تشير الآية إلى سنة الخير التي تحافظ على الحياة والأحياء فجعلت إحياء النفس الإنسانية كإحياء البشرية جميعها فقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا

عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ) (المائدة:32)، **ومن خلال هذا التوجيه النبوي الكريم يجب على كل فرد من أفراد المجتمع وكل مؤسسة أو جمعية أو هيئة من هيئات المجتمع، وكذلك الحكومات والدول ان توجه جهودها دائما لفتح أبواب الخير نحو السنة الحسنة، التي تعود على فاعلها وعلى من يقتدون به من أبناء الأمة بالخير والنفع في الدنيا والآخرة. وكذلك إغلاق أبواب الشر والسنة السيئة التي تجر على فاعلها وعلى من يتبعه الإثم والوزر .**

إذ إن توجه الأمة بأفرادها ودولها وحكوماتها ومؤسساتها نحو السنة الخيرة والحسنة من شأنه أن يحافظ على بنيان الأمة وتماسكها، وكذلك حماية الأفراد والمجتمعات من تسلل السنن السيئة إلى مجتمعهم وإلى بنيانهم، مما يؤثر سلبا على القيم والمبادئ والأخلاق، ومن ثم الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

وإن في توجيه النبي القدوة، صلى الله عليه وسلم، نحو السنة الحسنة والابتعاد عن السنة السيئة ما يحفظ للفرد والمجتمع والأمة كيانها وقوتها والاستزادة من بواعث الخير للوصول إلى مجتمع الفضيلة الذي ينشده ديننا الحنيف، ويحث عليه رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم.

فهلا عملنا بهذا الهدي الكريم وتوجهنا جميعا للاجتهاد في البحث عن أبواب السنة الحسنة لفتحها على مصراعيها وإغلاق كل باب للسنة السيئة اقتداء بالرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم.

اللهم اجعلنا مفاتيح الخير مغاليق الشر (وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا) (الفرقان:74)

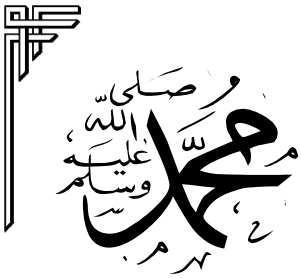

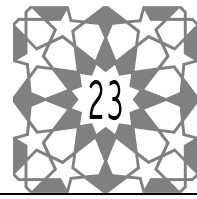

13 رجب/1428هـ وفق 2007/7/27م

يبين حلاوة الإيمان

نقرأ حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (صحيح البخاري / كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان).

علامات واضحة وصفات محددة يبينها الرسول القدوة عليه الصلاة والسلام، إذا توافرت في مؤمن وجد حلاوة إيمانه، ولمس صفوة عمله واعتقاده. وعلى رأس هذه الأوصاف محبة الله ورسوله وتفضيلها على ما سواها . فلا الدنيا ولا الآخرة تقدم على هذه المحبة مع ما في الدنيا من المباهج والشهوات وحب التكاثر من الأموال والأنفس والثمرات ، قال تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران:14) .

كذلك الآخرة وما فيها من النعيم المقيم والتكريم لعباد الله المؤمنين لا تقدم على هذه المحبة التي تتعلق بالله ورسوله في صفاء ونقاء لا يقدره أو يحس به إلا من ذاقه وعاشه في نفس مطمئنة وقلب تعلق بحب الله ورسوله .

لا يعرف الحب إلا من يكابده، ولا الصبابة إلا من يعانيها . قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ (البقرة:165) .

ويقول عز وجل : (فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ) (المائدة:54) . ومحبة الله تظهر في تصرفات المؤمن الذي وجد حلاوة الإيمان ، فهو يطيع الله فيما أمر،ويجتنب عما نهى عنه .

يقبل على عبادة الله بإخلاص ويعمل بلا رياء، بعيداً عن الشرك الأصغر الذي يخالط أعمال الكثيرين فيحبطها ويذهب بأجرها وثوابها ، وهكذا كان أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم من السلف الصالح، وهذه سيرة العابدين من العلماء ، والعلماء العاملين الذين آثروا محبة الله تعالى ويؤثرونها على سواها ، كما تتبعوا سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وسنته فتمثلوها في حياتهم وتصرفاتهم، وأخذوا من ذلك الحظ الأوفر فذاقوا حلاوة إيمانهم ولمسوا ثمرة اتّباعهم، فعاشت أرواحهم في نعيم ذلك، ونبتت أجسادهم على حلال هذه الثمار، وجنوا حصيلة أعمالهم فوزا في الدنيا ونجاة في الآخرة من النار ، وسجل القرآن الكريم بقول رب العزة العظيم : (۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح:18)، وقوله: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ) (الفتح:29) ، وبشر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كثيرا منهم بالجنة، وزكى منهم القرون الأولى فقال : (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا ، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن) (صحيح البخاري / كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل أصحاب النبي ورضي الله عنهم ومن صحب) .

لقد كان الله تعالى ورسوله الأكرم أحب إليهم مما سواهما، فذاقوا حلاوة الإيمان واستحقوا بفضل الله كل إكرام وإحسان .

أما العلامة الثانية لحلاوة الإيمان فهي هذه العلاقة العظيمة بين أبناء مجتمع الإيمان، وأن يحب الرجل لا يحبه إلا الله.

المحبة الناتجة عن الإيمان وعن فهم عميق لأخوة الإسلام، هذه الأخوة التي جعلت من المتباعدين نسباً والمختلفين عرقا وجنساً ولونا أمة واحدة ، كل المسلمين والمؤمنين فيها إخوة تطبيقاً لقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:10) ، وعملا بقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عز وجل عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه) .

وفي ظل هذه الأخوة والمحبة القائمة على الحب في الله والبغض في الله تميز مجتمع المسلمين عن غيره من المجتمعات الجاهلية التي تقوم الرابطة بين أبنائها على روابط الدم أو القبيلة أو المصلحة أنه مجتمع المتحابين في الله والمؤثرين لإخوانهم ولو كان بهم خصاصة ، كما وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ (الحشر:9) .

لقد آثر بعضهم بعضا حتى في أحرج لحظات الحياة، وتقص علينا كتب التاريخ أن من أصيبوا في معركة اليرموك حينما مر عليهم من يسقيهم الماء، كان الواحد منهم يشير إلى صاحبه، ويقول للساقي اذهب إلى أخي فإنه بحاجة للماء أكثر مني، فيذهب الساقي إليه ليرشده إلى آخر، وهكذا حتى قضوا جميعهم شهداء وهم يؤثرون إخوتهم الذين أحبوهم في الله ولله . فهنيئاً لهذه النفوس الرضية التي ذاقت حلاوة الإيمان، وأحبت بعضها محبة خالصة لله، وفي هذه المشاهد ما يحثنا في

أيامنا هذه أن نتلمس هذه الطريق لنحب بعضنا بعضاً في الله، عسى الله أن يؤلف بين القلوب والنفوس فنلتقي على حب الله، وحلاوة الإيمان التي من ذاقها ذاق طعم العزة في الدنيا وحلاوة الراحة في الآخرة .

وأما العلامة الثالثة لحلاوة الإيمان، فهي كراهية العودة إلى الكفر وإلى الضلالة، كراهية القذف في النار، وبالتأكيد على المعيار الملموس والمحسوس يقرب الرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، إلى الأفهام صورة هذه الحلاوة العظيمة للإيمان ، فمن ذاق حلاوة الإيمان كره أن يعود إلى الكفر كراهيته للقذف في النار .

إذ إن نور الإيمان كفيل بإطفاء نار المعصية ، وحلاوة الإيمان تنسي صاحبها كل طعم من شهوات الدنيا وباطل عيشها، وقد صبر كثير من المسلمين على العذاب منذ العصور الأولى للدعوة الإسلامية وإلى يومنا الحاضر، وإن كثيراً منهم قد لقي الله تحت وطأة العذاب، ولم يرتد عن دينه أو يساوم على عقيدته، فكان أول السابقين إلى الشهادة من الصحابة (سمية وياسر) والدي عمار -رضي الله عنهم جميعا- وقد بشرهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالجنة بقوله : (**صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**) حسن صحيح - المحدث: الألباني - المصدر: فقه السيرة - الصفحة أو الرقم: 103

والمواقف هذه كثيرة، إنها مواقف الإيمان الذي ذاق حلاوته المؤمنون ، فتمسكوا به أمام كل الطواغيت . وتراجع أمام هيبته الجبابرة والظالمون.

إنه الإيمان ولا شيء سواه إذا وجد الإنسان حلاوته صغرت في عينه كل الأهوال ، وتطاول إلى مواقف العزة والإيمان التي لا يصلها إلا من ذاق حلاوة الإيمان، كما وصفها الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، .

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عز وجل عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)

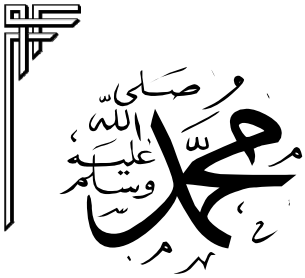

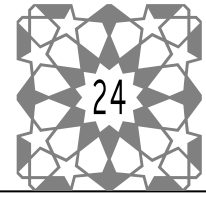

الرسول الأسوة

يحث على الصدق

20رجب/1428هـ وفق 2007/8/3م

في حديث الرسول القدوة عليه الصلاة والسلام، نجد الحث على الصدق فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول : (إن الصدق يهدي إلى البر، وان البر يهدي إلى الجنة، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفُجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللّه كذابا) (صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب قول الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله).

في هذا الهدي الكريم والتوجيه النبوي الشريف يحثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على التزام الصدق وتحريه، والسلوك في طريق الخير التي تقود إلى كل بر في الدنيا والآخرة ، فالصدق كما أشار الحديث الشريف هو بداية الخير، إذ إن البر اسم جامع لكل أصناف هذا الخير، فمن كان صادقاً في قوله وعمله، وتحرى الصدق في كل ما يصدر عنه، أصبح هذا الخلق الرفيع سجية له وطبعاً لا يفارقه.

وإذا كان الحال كذلك كان توفيق الله سبحانه وتعالى للصادق رفيقاً وملازماً ويكتبه الله تعالى مع الصادقين والصديقين إكراماً له على صدقه وإخلاصه في قوله وعمله . ويكتب له القبول في الأرض. كما ورد في الحديث : (إذا أحب اللّه عبدا نادى جبريل إن اللّه يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن اللّه يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض) (سنن الترمذي / كتاب تفسير القرآن عن رسول الله / باب ومن سورة مريم).

وكذلك الصادق الصدوق الذي يتحرى طرق الصدق ويلتزم بها، يكتب عند الله صديقاً ومن كان كذلك فقد حاز رضى الله ومحبة العالمين وأصبح من الصديقين الذين يشار إليهم بين الناس بالبر والخير والصدق .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن الكريم على الصدق والصادقين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ (الانفطار:13). إذ إن الصدق يهدي إلى البر، والبر كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام يهدي إلى الجنة التي هي جزاء الأبرار .وقال تعالى : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23) . وقال تعالى : ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب:24) . ووصف المؤمنين والمؤمنات بالصدق فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّ ٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّ ٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:35). والصدق فوق أنه خلق كريم وأدب رفيع، فإنه عنوان على إيمان المسلم وطمأنينة لمن يتعامل معه؛ لأن الصدق مدعاة إلى الثقة وراحة النفس تجاه صاحبه . لذا نجد الصدق دليلاً على نبوة الأنبياء ورسالة الرسل، فكل نبي أو رسول معصوم عن الكذب ومتصف بالصدق الذي هو من مقومات الرسالة ومن الأخلاق الملازمة للرسول .

فقد عرف عن نبينا الأسوة، صلى الله عليه وسلم ، الصدق منذ نشأته وسمته قريش بالأمين. وقد حث القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على التحلي بالصدق ، ولذا كانت مرتبة الصديقين من أعلى المراتب التي يصل إليها بشر دون الأنبياء والمرسلين.وقد عرف صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالصدق، وكان إمام الصديقين أبا بكر الصادق الصديق رضي

الله عنه .ولذا وجب علينا معشر المسلمين أن نربي أنفسنا وأبناءنا على الصدق حتى نفوز بهذا الخلق العظيم .

إذ الصدق مطلوب في كل المواقف حتى وأنت تربي طفلاً صغيراً فقد ورد في الأثر (من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة) (مسند أحمد / تتمة مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه). وحتى المزاح يجب على المسلم أن يتحرى فيه قول الصدق كما فعل النبي، صلى الله عليه وسلم، حينما جاءت امرأة عجوز من الصحابيات إلى النبي، صلى اللّه عليه وسلم، وقالت له : يا رسول اللّه .. ادع اللّه أن يدخلني الجنة، فداعبها، صلى اللّه عليه وسلم، قائلا: (إن الجنة لا تدخلها عجوز).فانصرفت العجوز باكية، فقال النبي للحاضرين: (أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز). إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦﴾" (الواقعة) أي أنها حين تدخل الجنة سيعيد الله إليها شبابها وجمالها. (رواه الترمذي في كتاب الشمائل). أما الكذب فإنه من أسوأ الأخلاق الذميمة والخصال القبيحة، ويكفي أن من عرف بالكذب يسقط من عيون الناس في شخصه وقوله هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن الكذب كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام يقود إلى الفجور، والفجور شامل لكل أنواع الشر وطرقه وهو بدوره يقود إلى النار والعياذ بالله . ألا فلينته الذين يروجون الكذب ويتخذون منه سلعة رائجة لتحقيق أهدافهم ألا فلينتهوا عن ذلك ويتحروا الصدق فإنه أحرى بهم وأخلق .وإنه لمن المؤسف حقاً أن نرى كثيراً من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تروج لشخص أو لحزب أو لجماعة مواقف كاذبة بعيدة كل البعد عن أرض الواقع والحقيقة .

ولعل في توجيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، بتحري الصدق وتجنب الكذب ما يردع السائرين في غيهم وكذبهم، فإن خفي هذا الأمر على البشر لفترة، فإنه لا يخفى على الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . اللهم ثبتنا على الصدق وقوله وتحريه حتى نكتب عندك من الصديقين. أسوة بالرسول الصادق الأمين عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يختار الفطرة ليلة الإسراء والمعراج

ويحدثنا أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته ، حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة)

(مسند أحمد / حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه و سلم) .

وقد وردت الأحاديث النبوية الشريفة في كتب الصحاح والسنن تفصل هذه المعجزة العظيمة التي أكرم الله سبحانه وتعالى بها نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام وتبينها بما في هذه الرحلة المقدسة من محطات ومشاهد في الأرض والسماء.

ويكفي لتخليد هذه المعجزة أنها وردت في أول آية من سورة الإسراء التي سميت بها هذه السورة الكريمة من سور القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ (الإسراء:1).

كما أشارت الآيات الكريمة في سورة النجم إلى معجزة المعراج في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا

يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨) (النجم) . **لقد رأى الرسول، صلى الله عليه وسلم، من آيات ربه الكبرى ما يثبت الفؤاد ويحقق اليقين ويفتح آفاق الرفعة والتكريم لرسول هذه الأمة والعالمين الذي نلنا باختياره الفطرة الثبات على هذا الدين وشرف التكريم بالخيرية والوسطية بين الأمم** (كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ) (آل عمران: 110) (وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣) (البقرة:143).

وفي هذه الرحلة القدسية يجتمع النبي، صلى الله عليه وسلم، بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأرض والسماء، ويصلي بهم إماما، إيذانا ببيعته وتسليم القيادة إليه، والإقرار بعموم رسالته للعالمين.

إذ سلم القيادة له كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في ليلة الإسراء المباركة، وفي رحاب المسجد الأقصى الذي بارك الله فيه و بارك حوله.

وفي هذا كذلك إشارة واضحة لكل عاقل أن جميع الأنبياء والمرسلين بعثوا برسالة التوحيد ودين الإسلام (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ) (الشورى:13)

وفي هذه الرحلة القدسية فرضت الصلاة على المسلمين خمسا في العمل وخمسين في الثواب وهي في حقيقتها معراج بالمسلم إلى رحاب الفضل الإلهي الذي يستشعره المؤمن، وهو يؤدي الصلاة بين يدي الله تعالى متوجها بقلبه إلى الله وبجسده إلى بيت الله الحرام حيث القبلة الثانية الأبدية التي يتوجه إليها المسلمون في صلاتهم من جميع أنحاء المعمورة.

ولقد ربطت معجزة الإسراء بين القبلتين المسجد الأقصى والمسجد الحرام برباط تعبدي من خلال الصلاة التي يضاعف الله ثوابها في هذه البقاع الطاهرة.

كما ربطت بين المسجدين برباط عقدي من خلال كون المسجدين محورا لمعجزة الإسراء والمعراج فقد بدأ الإسراء من المسجد الحرام، وانتهى بالمسجد الأقصى، ثم بدأت رحلة المعراج من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، حيث سدرة المنتهى و صريف الأقلام والتكريم لرسولنا، صلى الله عليه وسلم، بالقرب والدنو من العليم العلام كما بينت كذلك أن الإسراء بدأ من أول بيت وضع للناس في الأرض، وانتهى إلى ثاني بيت وضع بعده في الأرض.

وفي هذا تأكيد واضح بأن هذه البقاع الطاهرة هي أرض إسلامية ارتبطت بعقيدة المسلمين ودينهم وعباداتهم مما يوجب المحافظة عليها، وأن تكون القيمومة عليها للمسلمين وحدهم الذين بشرهم الله تعالى بأنها أرض مساجدهم التي تشد الرحال إليها (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجد الرسول، صلى اللّه عليه وسلم، ، ومسجد الأقصى**) (صحيح البخاري / أبواب التطوع / باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة).

وقد رأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مشاهد كثيرة ليلة الإسراء والمعراج، منها رؤية الملائكة الذين يطوفون بالبيت المعمور، ورؤية الأنبياء والاجتماع بهم وترحيبهم به في كل سماء، كما رأى من المشاهد من يحصدون في يوم، ثم يعود كما كان في اليوم التالي وهم الشهداء ومالهم من ثواب عند الله تعالى.

ورأى أكلة أموال اليتامى ظلما يأكلون النار والعياذ بالله كما رأى أكلة الربا وقد انتفخت بطونهم حيث لا يقدرون على الحركة.

ورأى الزناة الذين يتركون اللحم الطيب ويأكلون اللحم الخبيث، وفي هذا تجاوز عن الفطرة التي اختارها الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ليلة الإسراء به، فهلا كانت معجزة الإسراء والمعراج التي فيها من الآيات الكبرى والكرامة العظمى للنبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ما يحفز المسلمين اليوم إلى الاقتداء بهديه والتأسي بطريقته، وإتباع هذا القرآن العظيم الذي يهدي للتي هي أقوم: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ (الإسراء:9) .

(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى)

يحث على إسراج المسجد الأقصى

وتستفتي ميمونة مولاة النبي عليه الصلاة والسلام في بيت المقدس قالت : قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ قال : (أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه قال فتهدي له زيتا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه) (سنن ابن ماجة / كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس). وفي رواية (فابعثوا بزيت يسرج في قناديله) ومعنى أتحمل إليه : ارتحل إليه .

ونقف في هذا الهدي الشريف على جوانب عدة تتعلق بالمسجد الأقصى إذ إن من أسمائه بيت المقدس. فمولاة النبي عليه الصلاة والسلام ميمونة تسأل عن بعض أحكام هذا المسجد بعد أن تحولت القبلة عنه إلى المسجد الحرام، ومن أول هذه الأحكام الصلاة فيه ، فيجيب الرسول الأسوة عليه الصلاة والسلام جواباً شافياً كافياً بل فيه زيادة نافعة تخبر عن مستقبل هذا المسجد ومكانته عند آخر الزمان ـ أي عند قرب يوم القيامة ـ فهو أرض المحشر والمنشر أي الأرض التي يحشر فيها الناس، ومن ثم ينتشرون إلى الحساب، ومن ثم إلى الجنة أو النار ، وفي هذا بيان لأهمية المسجد في عقيدة المسلمين وعبادتهم ودنياهم وآخرتهم .

فقد مثل المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين حيث توجه إليه النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة في صلاتهم ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم تحولت القبلة إلى المسجد الحرام ، قال تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة:144).

ويؤكد النبي عليه الصلاة والسلام على فضل الصلاة في المسجد الأقصى بحث المسلمين على إتيانه وشد الرحال إليه للصلاة فيه، حيث يضاعف الله ثواب الصلاة والأعمال الصالحة،

فالصلاةُ فيه كألف صلاة في غيره، وثوابها لا يقل عن خمسمائة كما ورد في أحاديث أخرى، فعلى أية حال إن يكن الفضل ألفاً أو خمسمائة، فهذا أمر واضح من النبي، عليه الصلاة والسلام، للمسلمين بأن يأتوا هذا المسجد ويشدوا إليه الرحال طلباً للثواب وأداء الصلاة فيه .

وهنا نشير إلى أن المسجد الأقصى يقصد بالزيارة لذاته، فمن نوى أن يزور المسجد الأقصى صحت نيته إذ يشترك مع المسجد الحرام والمسجد النبوي بجواز عقد النية لزيارتهما أخذا من حديث النبي عليه الصلاة والسلام (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي هذا**) (صحيح مسلم / كتاب الحج / باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد).

وفي حث الرسول ﷺ لنا على شد الرحال إلى المسجد الأقصى لأداء الصلاة فيه لإعماره والتأكيد على مسجديته وإسلاميته ما يشير إلى الأحداث التي ستقع في المسجد الأقصى وفي ديار المسجد الأقصى.

فهذا المسجد وديارة هما محل طمع الأمم والغزاة وهذا أثبتته الوقائع ونقله التاريخ على مر الزمان . فقد كانت هذه الديار المباركة هدفاً للصليبيين الذين جاءوا بحملات متتابعة للسيطرة على هذه الديار، وكان لهم ذلك في فترة من الغفلة والضعف مرت بها الأمة الإسلامية حارسة هذه الديار وسدنة مسجدها الأقصى المبارك، وقد تعطلت الصلاة فيه وساده الظلام إلى أن قيض الله له ولدياره المحرر الصالح صلاح الدين والدنيا الذي أعاد إليه الصلاة، وأسرج الزيت في قناديله يبدد ظلام الظالمين والغزاة، وينير المسجد للمؤمنين الصابرين ، ويعيد البهاء والطهر والصفاء والنقاء لموئل العلماء ومقصد الأنبياء وقبلة المسلمين الأولى وإلى أرض الإسراء والمعراج بوابة الأرض إلى السماء .

ويبقى الحال كذلك حتى مرحلة أخرى وغفلة من المسلمين فيقع المسجد الأقصى فيها أسير احتلال جديد بغيض يطفئ قناديله ، ويقيم على بواباته الحواجز والموانع، بل تمتد خلاله يد الغدر إلى بناء المسجد ومحرابه ومنبره الصلاحي بالحريق المشؤوم الذي حول المنبر إلى أثر بعد عين وأتى على أجزاء كبيرة من المسجد تستهدف وجوده وحضارته ورمزيته .

هذا الحريق المشؤوم الذي ما زال يشتعل في المسجد المبارك والمدينة المقدسة منذ ثمانية وثلاثين عاماً وإلى اليوم، فهلا عقد المسلمون عزمهم أن يرتحلوا إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه، وإسراج قناديله بزيت العزة والظفر والنصر، كما أوصى الرسول الأسوة ﷺ ، وكما فعل الصحابة الكرام والمحررون العظام عليهم رضوان الله ورحمته وسلامه.

قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ قال : (أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه قال فتهدي له زيتا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه)

يبشر أهل التوحيد بالجنة

ويبشر الرسول القدوة ﷺ من قال لا إله إلا الله بدخول الجنة بقوله لأبي ذر : (ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق ؟ قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رغم أنف أبي ذر) (صحيح البخاري / كتاب اللباس / باب الثياب البيض).

إنها سعة رحمة الله تعالى بعباده الموحدين يبينها هذا الهدي النبوي الشريف على لسان الرسول المجتبى الذي لا ينطق عن الهوى، بل هو وحي يوحى على قلبه يعبر عنه بلسان الصادق الأمين ويبلغه للخلق أجمعين، فيهتدي به من قدر الله له الهداية، ويزيغ عنه من كتب عند الله من أهل الشقاوة. فيا سعادة من وفقه الله إلى التوحيد في حياته، يؤمن بلا إله إلا الله، شهادة تعمر قلبه وتضيء طريقه ويبقى لسانه رطباً بها وبتكرارها.

ألم يقل الله تعالى في محكم تنزيله ما يميط اللثام ويجلي الأفهام عن حقيقة التوحيد وثمرته، ومصير الموحدين الثابتين على هذا التوحيد بخاصة من وفقه الله إلى أن يكون آخر كلامه في هذه الدنيا الفانية كلمة التوحيد لا إله إلا الله وإنها لكبيرة وعزيزة في موقف النزاع وسكرات الموت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ (النساء:48).

إنها المفاصلة بين الشرك والإيمان، بين التوحيد والإشراك، بين السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة، بين الجنة والنار، بين الرحمة والعذاب، بين القبول والطرد من رحمة الله.

إنها كلمة الفصل التي حكم بها الله بين عباده، وإذا كانت الأعمال الصالحة والطالحة وبال على مقترفيها، فلا تنفع الله تعالى طاعة الطائعين كما لا تضره معصية العاصين. إنه رب العالمين الذي لا يضر مع الإيمان به معصية، كما لا تنفع مع الكفر به طاعة.

وهذا ما قرره علماء التوحيد، رضوان الله عليهم، وهم يتعرضون لمباحث الإيمان بالله وتوحيده تعالى الله عما يقول المشركون والكافرون علواً كبيراً.

وقد يقول قائل: إن المسألة في غاية السهولة واليسر، فإذا ما حضرت الوفاة قال العبد لا إله إلا الله فيفوز بالجنة التي بشر بها الرسول ﷺ، وإن ارتكب أصناف المعاصي وشتى المنكرات، أو خالط عقيدته الشرك الأكبر أو الأصغر.

والجواب على ذلك؛ ومن يضمن لك أيها العبد أن توفق إلى كلمة التوحيد عند الموت، وهذا شأنك من الإعراض عن طريق التوحيد والابتعاد عن مستلزمات هذا الإيمان وتكاليف الإسلام.

إن التوفيق لقول كلمة التوحيد في ساعة شدة الموت يحتاج إلى رسوخ اليقين بهذه الكلمة في سعة الحياة وضيقها، مع الإقبال على الأعمال الصالحة والابتهال إلى الله بقبولها.

وقد وصف الله عباده المرسلين بأنهم يعملون الصالحات رغباً ورهباً: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء:90)، إنهم يعملون الصالحات ويخافون أن لا تقبل لعلمهم ويقينهم بأن الله تعالى الغني عن أعمالنا لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أنه لا يقبل عملاً خالطه الإشراك أو الرياء. نسأل الله تعالى الذي نستعين بنور وجهه ونلوذ بواسع عفوه أن يجعل خالص التوحيد في مستقر قلوبنا، في نومنا وقرارنا، في حياتنا وعند مماتنا، وأن يوفقنا للنطق بكلمة التوحيد على فراش موتنا.

فإن الأجل محدود والموت قادم وما بعده إلا الجنة أو النار ، ويستعظم أبو ذر رضي الله عنه لشدة كراهيته للمعاصي كالزنا والسرقة أن يدخل فاعلهما الجنة. فالصحابة، رضوان الله عليهم

جميعاً، يرون أن المسلم يجب أن يبقى في طاعة الله بعيداً عن المعاصي والآثام، لأنه التزم بكلمة التوحيد وما يترتب عليها من التكاليف والأعمال والالتزامات.

وكانوا، رضوان الله عليهم، ذوي همم عالية لا تفتر عن طاعة الله وإيمان راسخ لا تشوبه شائبة، زكاهم الله تعالى، ورسوله شهد لهم بالإيمان (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ) (الفتح: 29). (رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ) (المائدة:119)، والرسول ﷺ يقول: (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) (أخرجه البخاري) .

إنها حقيقة التوحيد القائمة في كلمة التوحيد والشهادة لله بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة، فمن كان كذلك من عباد الله وفقه الله تعالى إلى النطق بكلمة التوحيد ومات عليها كان مصيره الجنة كما أخبر الرسول ﷺ "**رغم أنف أبي ذر**" كما كان يقول أبو ذر رضي الله عنه وهو يروي حديث حبيبه المصطفى الأسوة، عليه وعلى رسل الله الكرام أفضل الصلاة وأتم السلام.

فهلا أقبلنا إخوة الإيمان على هذا الهدي الكريم الذي جعل قمة السعادة والفوز في الدنيا والآخرة بالتمسك بكلمة التوحيد وراجعنا أنفسنا التي أثقلتها الذنوب والمعاصي، وتبنا إلى الله توبة نصوحاً رجاء الثبات على الإيمان والوفاة على كلمة التوحيد.

وفقنا الله وإياكم إلى خير الإيمان وأفضل الأعمال وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة الذي بشر قائل لا إله إلا الله عند موته بالجنة وإن زنى أو سرق.

يحث على طلب العلم

ونقرأ حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه اللّه مالا ، فسلطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه اللّه حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها) (صحيح البخاري / كتاب الزكاة / باب إنفاق المال في حقه)

إنه هدي النبي ﷺ في الترغيب في طلب العلم والحث على تحصيله فمن كان حاسدا، وهنا تأتي الكلمة في السياق الايجابي وليس السلبي لمعنى كلمة الحسد وهو تمني زوال النعمة عن الغير، بل هي الغبطة لمالك المال الذي ينفقه في سبيل الخير ابتغاء مرضاة الله والإنفاق في سبيل الله طرقه كثيرة ومتعددة تبدأ من الأسرة والتوسعة عليها وتمتد إلى القرابات والأهل؛ إذ تتسع دائرة الخير لتشمل المجتمع بأسره أفرادا ومؤسسات.

وهذا واضح في طرق الإنفاق في مصارف الزكاة وصدقات التطوع والصدقات الجارية كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وغير ذلك من المؤسسات التي يعود نفعها على قطاعات كبيرة من أبناء المجتمع.

وإذا كانت طرق إنفاق المال في سبيل الخير متعددة ومتشعبة، فإن طرق الإفادة من العلم أيضا كثيرة ومتشعبة، فمن أتاه الله الحكمة ـ وهي هنا شاملة لكل أنواع العلوم ـ، فقد أوتي خيراً كثيراً :(يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾) (البقرة: 269)، فالعلم وطلبه وتحصيله من الأمور المهمة في حياة الأمة .فالعلم بحد ذاته حياة لطالبه، كما أنه حياة للمجتمع، ولذلك كانت الغبطة مشروعة ومحبوبة لمن أتاه الله علماً فانتفع به ونفع به الناس فهو يقضي به ويعلمه. وقد حث ديننا الإسلامي العظيم من خلال آيات الذكر الحكيم والهدي النبوي الشريف على طلب العلم، وبين فضل العلم والعلماء، يبدو ذلك واضحاً جلياً في أول آية نزلت على قلب النبي، صلى الله عليه

وسلم، تدعو إلى القراءة وهي أهم الوسائل لتحصيل العلم، كما بينت وسائل العلم والتعلم والغاية من هذه العملية الممتدة مع حياة الإنسان التي يصل من خلالها إلى توحيد الله ومعرفة الخالق سبحانه وتعالى، فالله يقول : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (العلق)

وفي آيات أخرى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن) ، ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ (القلم) .

وكلها آيات تحث على طلب العلم، و تطالب المسلمين أن يكافحوا الأُمية والجهل، ويبذلوا جهودهم في تعلم القراءة والكتابة، لأنهما أداة العلم ومفتاح الخير وباب السعادة وعتبة المعرفة والحكمة. ولقد طالب القرآن بصورة جلية أن يتفرغ من الأمة بعض منها لطلب العلم، يبدو ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿ ....فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة:122) وقد قال بعض العلماء في التعليق على هذه الآية بأن طلب العلم والجهاد فريضة على جماعة المسلمين ويجزئ فيه بعضهم.

ويكفي العلم فضلا أن العلماء هم من الشاهدين على وحدانية الله وربوبيته قرنهم الله بنفسه وبالملائكة في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ (آل عمران:18)

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في ذلك فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بملائكة قدسه، وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاءً ونبلا وكفى بالعلم فضلاً أن

أصحابه اشد الناس خشية لله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر:28) فالعلم هو مفتاح الخشية لله تعالى، كما أن الإيمان القائم على العلم أقوى من الإيمان بلا علم ولا بصيرة، وفي توخي المفاضلة بين العلماء والجهلاء يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:9) ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:11)

والعلم جزاء للمحسنين قال تعالى بحق بعض أنبيائه ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:22)

والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (**مثل ما بعثني اللّه به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع اللّه بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين اللّه ، ونفعه ما بعثني اللّه به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدي اللّه الذي أرسلت به**)

(صحيح البخاري / كتاب العلم / باب فضل من علم وعلم)

ومن قول الرسول الأسوة (**من يرد اللّه به خيرا يفقه في الدين**) (صحيح البخاري / كتاب المرضى/ باب ما جاء في كفارة المرض وقول الله من يعمل)

وقوله (**من سلك طريقا يطلب فيه علما ، سلك اللّه به طريقا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**)

(سنن أبي داود / أول كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم)

كما لا يجوز لمن علم علماً أن يكتمه وقد توعد الله من كتم العلم بالعذاب : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ (البقرة:174) ، ﴿إِن ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ (البقرة:159)

والرسول الأسوة ﷺ يقول: (من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار، ومن قال في القرآن بغير علم جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار)
(سنن أبي داود / أول كتاب العلم / باب كراهية منع العلم)

وها نحن أيها الإخوة الكرام على أبواب عام دراسي جديد يتوجه فيه أبناؤنا إلى المدارس والمعاهد والجامعات لطلب العلم، فلنكن جميعا عونا لهم على طلب العلم بما ينفعهم وينفع وطنهم وأمتهم امتثالا لتوجيه القرآن الذي أنزل وحياً على قلب الرسول الأسوة ﷺ ، وجاء على لسانه من خلال هديه الشريف عليه الصلاة والسلام.

اللهم انفعنا بما علمتنا وانفع بنا يا رب العالمين، واجعل علمنا خالصا لوجهك الكريم وجنبنا مواطن الرياء والذل والكبر والعجب واحفظنا بحفظك الذي لا يضام ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا من لا يؤوده حفظ السموات والأرض.

(لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا ، فسلطه على هلكته في الحق ، وآخر آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها)

يبين ركنية الصيام

25/شعبان/1428هـ وفق 7/9/2007م

ونقرأ من جوامع كلم الرسول الأسوة عليه الصلاة والسلام قوله : (**بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**) (صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام).

في هذا الهدي النبوي الشريف يبين لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أركان هذا الدين العظيم الذي يبدأ بالإقرار بالإلوهية والربوبية لله وحده لا شريك له، وبرسالة الأنبياء والمرسلين من خلال الإقرار والإيمان برسالة النبي الكريم سيدنا محمد عليه وعلى رسل الله أجمعين أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ثم يبين العبادات المفروضة على المسلمين وهي الصلاة والزكاة والحج والصوم ، والصوم هو العبادة التي يؤديها المسلمون في شهر رمضان الفضيل من كل عام ، هذه العبادة التي كتبت على الأمم السابقة، فإنه ما من أمة إلا أمرت بعبادة الصوم ، لذلك جاء السياق القرآني مؤكداً هذه الحقيقة : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:183). ولعل الغاية المرجوة من هذه العبادة أيضاً قد أشار إليها القرآن الكريم بوضوح: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

فالصيام يثمر التقوى ، وكيف لا وهو عبادة أبعد ما تكون عن الرياء أو التظاهر بالصلاح ؛ لأنها سر بين العبد وربه ، فالصائم يمسك عن الطعام والشراب ، وسائر منغصات هذه العبادة من غيبة ونميمة وسوء خلق ؛ لأن الصائم يقبل على مائدة الرحمن ليتزود منها بالتقوى ، التي تقيه من الوقوع في المحرمات وفي مقدمتها الإفطار في أيام رمضان لمن يعرض -والعياذ بالله- عن مائدة الرحمن اتباعا لشهواته ونزواته، ولا يمتثل لأمر الله بالتزام الصيام في أيام هذا الشهر الفضيل الذي لو عرف الناس قدره ومقداره عند الله تعالى لتمنوا أن يكون العام كله رمضان .

وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحث المسلمين على صيام هذا الشهر ، فعن أبي هريرة قال : لما حضر رمضان قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (قد جاءكم رمضان ، شهر مبارك افترض اللّه عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم) (مسند أحمد / مسند أبي هريرة رضي الله عنه).

من خيرات هذا الشهر أن الشياطين فيه تصفد ، وتفتح فيه أبواب الجنة لحديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، : (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر ، وللّه عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة) (سنن الترمذي / كتاب الصوم عن رسول الله / باب ما جاء في فضل شهر رمضان).

كما أن الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة ، كما روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم،: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام :أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان) (مسند أحمد / أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما).

وحسب الصائم كرامة أن خلوف فمه وهي الرائحة التي تكون لفم الصائم نهاراً ، مثل المسك عند الله تعالى: (ولخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك) (صحيح البخاري/ كتاب الصوم / باب فضل الصوم).

كما أن للصائم فرحتين: فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه . ففرحة الفطر تكون عاجلة، وهي الفرحة التي تغمر الصائم، وقد أعانه الله على أداء صوم يومه ، ووصل إلى موعد الفطر عند الغروب، ليجتمع مع أهله على مائدة الإفطار، مائدة الرحمن التي أعدها الله لعباده الصالحين فيفرح لتوفيق الله له على أداء العبادة ، وإذا كان اليوم الآخر ورأى الصائم ما لعباده الصائمين في دار كرامته فرح الفرحة الأخرى . وقد أشار النبي ـصلى الله عليه وسلمـ في الحديث الشريف إلى أن في الجنة باباً يسمى الريان يدخل منه الصائمون . فقد ورد : (إن في الجنة بابا يقال

له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب الريان للصائمين) .

وحتى يكون الصيام مقبولا عند الله تعالى، فعلى الصائم أن يراعي شروط الصيام وآدابه. فيمسك قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس عن الطعام والشراب وشهوة الفرج ، وهذا هو ركن الصوم. كما يتجنب اللغو والغيبة والنميمة وقول الزور وشهادة الزور فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم – يقول: (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه) (مسند أحمد/ تتمة مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه). وان يبتعد عن الشتيمة والسباب والفسوق فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم مرتين ، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه ـ تعالى ـ من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب فضل الصوم) .

فاقبلوا أيها المسلمون على مائدة الرحمن في شهر رمضان بنفس زكية، وهمة علية، ونية صادقة حتى تُحصّلوا جائزة الرحمن؛ تقوى في الدنيا ورضا في الآخرة. وسكن إن شاء الله في جنة عالية ندخل وإياكم من باب الريان برحمة الله وقبوله ، إكراماً لشهر رمضان وامتثالاً لأمر الرحمن بأداء عبادة الصيام. اللهم بلغنا رمضان سنين عديدة ، وأعواما مديدة حتى نعبدك على النحو الذي يرضيك يا أكرم الأكرمين، ويا رحمن السموات والأرض ورحيمهما ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، واجعلنا اللهم ممّن يقتدي ويهتدي بهدي رسولك الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في صيامنا وقيامنا وجميع شؤون حياتنا ، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

يخبرنا عن أبواب الخير في رمضان

ويحدثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الخير وأبوابه في شهر الفضل والبركات فيما أخرجه البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله) وجاء الحديث بروايات أخرى تؤكد هذا الفضل العظيم الذي اختص الله به هذه الأمة الكريمة في شهر الخير شهر رمضان المبارك، (إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة) (سنن ابن ماجة / كتاب الصيام / باب ما جاء في فضل شهر رمضان) .

إنها الرحمة الواسعة والمغفرة السابغة والكرامة الوافرة التي وعد الله عباده الصائمين المؤتمرين بأمر الله، والمنتهين بنهيه، المقبلين على طاعته ،والصابرين على الجوع والعطش، وحرمان النفس شهواتها ابتغاء مرضاة الله، فقد دخلوا في عبادة الصيام التي افترضها الله على عباده المؤمنين بكل همة إيمانية عالية يرنو صاحبها إلى رحمة الله في جنة عرضها السماوات والأرض، فاستجاب لمنادي الخير، فأقبل على الله يلوذ برحمته ويتعلق بأهداب مغفرته ورضوانه، فلجم النفس الأمارة بالسوء عن غيها، وقصر حبل آمالها، وأحكم الخناق على وسوسة شيطانها، فكان من الجديرين بالدخول من أبواب رحمة الله إلى طاعة الله حيث مرضاة الغني عن العباد وأعمالهم، وإنما هي تكاليف الطاعة ليحيى من حيّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة،وإنما هي الأعمال الصالحة تعود على أصحابها بالخير فضلا وكرما من الله العلي الكبير الذي لا تضر مع طاعته والإيمان به معصية، كما لا تنفع مع الكفر به طاعة، فلله الحمد على فتح أبواب فضله، وإشراع أبواب جنته للمقبلين على نداء الخير والحاثين الخطى نحو جنة عرضها السماوات والأرض أعدت

للمتقين، فتحت أبوابها في شهر الفضل شهر القرآن وشهر الصيام، شهر القيام والسجود والتراويح والتسابيح، شهر لو علم الناس ما فيه من الخير لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان.

شهر تفتح فيه أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وتغلق أبواب النار فلم يفتح منها باب، وإذا كان الأمر كذلك فهيا يا عباد الله الطائعين إلى التزود بزاد التقوى، وتشمير ساعد الجد بالعبادة والطاعة، واستغلال كل دقيقة من أوقات هذا الشهر بفعل الخير وعمل الخير رجاء الفوز بالدخول من أحد أبواب الجنة بفضل الله ورحمته وعفوه وبره وإحسانه.

ألم يخبرنا الصادق الصدوق، صلى الله عليه وسلم، بأن أبواب الخير مفتوحة، وأبواب السماء مفتوحة تدخل منها توبة التائبين الصادقين، ليقبلها قدوس السماوات والأرض مالك الملك ومليك كل شيء، وقد أبعد الشياطين وزجرهم وقيدهم وصفدهم وغل مردتهم وأغلق أبواب الجحيم التي يدعون إليها، ويعملون جاهدين لإغواء الناس ليقودوهم، إليها ولا عذر لمن تبعهم وسار في ركبهم وقد سمع منادي الخير يقول يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولكنها المعصية، وتعجل شهوات الدنيا وزينتها، فكان الجزاء من جنس العمل: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الاحقاف:20)

ألم يعلم العصاة المعرضون عن طاعة الله ،والمنتهكون لحرمة هذا الشهر بالإفطار والمجاهرة بهذه الكبيرة، أن لله عتقاء من النار في كل ليلة من ليالي شهر رمضان، فلم لا يتداركون أنفسهم بتوبة نصوح تدخل من أبواب السماء؟، فيقبلها الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الشورى:25)

وهو القائل في محكم كتابه وصريح خطابه ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ (الزمر:53)

وقد علق بفضله وكرمه الفلاح والفوز على التوبة النصوح فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ (التحريم:8)

فهل يسمع عاقل هذا النداء البهي النقي، واللطيف الرحيم، ويصر على البعد عن أبواب الفضل الإلهي التي فتحت في شهر رمضان في السماء والأرض، وفي جنته مستقر كرامته وتكريمه للصائمين المقبلين على رحمة الله وعفوه ومغفرته، إنه الخير الذي فتحت كل أبوابه وعليها مناد ينادي يا باغي الخير أقبل. وإنه الشر الذي أغلقت جميع أبوابه وصفدت شياطينه وعليها مناد ينادي يا باغي الشر أقصر.

إنها مائدة الرحمن جل وعلا في شهر رمضان، وقد حفتها الملائكة، ورعتها العناية الإلهية ووسعتها رحمة الله تعالى، وفتحت لها أبواب الجنة ،وغلقت أبواب النار واستقبلتها أبواب السماء بكل لطف وقبول، وحفها الخير من جميع أبوابه وأطرافه، فكانت حلقة الفضل التي لا يدرى أولها من آخرها، وكلها خير وبركة وعفو ومغفرة لمن أقبل على الله في هذا الشهر الفضيل، يراجع أحواله ويتقصى نقاء أعماله ليحاسب نفسه على الخطرات ويحفظ قلبه من الرياء والشهوات، ويبقي عليه معلقا بالأمل والرجاء لرب الأرضيين والسماوات، يدعوه تضرعاً وخيفة ودون

الجهر من القول رغباً ورهباً، وخشية فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون، فهلا أعددنا أنفسنا يا إخوة الإيمان في كل مكان للفوز بجائزة الرضا في شهر رمضان التي وعدها عباده الصائمين لتنادي علينا الملائكة يوم عيد الفطر هذا يوم الجائزة فاقبضوا جوائزكم، وقد أنعم الله علينا بصيام شهر رمضان وقيامه تأسياً بالحبيب الأسوة، صلى الله عليه وسلم، وبارك ورضي الله عن آل بيته الطاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

(إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة)

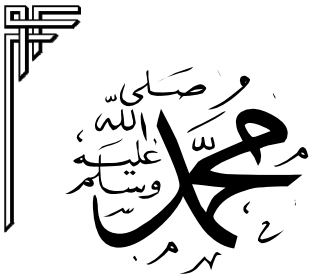

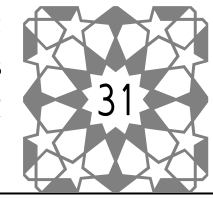

يبشر الصائمين بفرحتين

ونقف على حديث الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (قال اللّه عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم . والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيبُ عند اللّه من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرِح ، وإذا لقيَ ربَّه فرح بصومه) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب هل يقول إني صائم إذا شتم) ، وفي رواية أخرى لأبي هريرة : (أن رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، قال: الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ، فليقل إني صائم- مرتين- والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه تعالى من ريح المسك ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها) (صحيح رواه البخاري) . إنه لأجر عظيم وثواب جزيل ينتظر الصائم عند ربه، فقد اختص الله سبحانه وتعالى الصيام من بين أعمال العباد، واختاره لذاته العلية ليجزي عليه بالفضل العظيم والأجر الكبير، وكيف لا، والله عز وجل خلق العبد وعمله، وهو الذي ييسر الإنسان للعمل، ويسهل هذا العمل عليه.

وإذا كان الصوم مما اختصه الله تعالى لنفسه، فما ذلك الا لعظم هذا العمل، وسمو هذه العبادة، وبعدها عن جميع مظاهر الرياء، وخلوصها لله تعالى، فالصيام سر بين العبد وربه، ولا يقوم به إلا من خلصت نيته لله تعالى، وصفت نفسه من كَدَرِ الشرك والرياء وشوائبهما المظهرة، كما عقد العزيمة على طاعة الله فاستجاب بحرمان النفس من شهواتها وملذاتها، وكبح جماحها عن أهوائها لتتوجه إلى الله بهذه العبادة الخالصة التي يثيب الله عليها كثيراً، ويعطي صاحبها المزيد.

فالصيام لله، وهو عبادة أرادها الله من بين أفعال العباد لتكون له وهو الكريم العظيم الذي يعطي الثواب الجزيل والجزاء العميم، فأكرم بهذه العبادة وأكرم بجائزتها ثوابا من عند الله، والله عنده حسن الثواب، كما أن الجزاء يعظم على قدر مجزيه، فأيُّ جزاء وأيُّ عطاء أعظم من جزاء الله وعطائه سبحانه مالك الملك بيده الخير وهو على كل شي قدير!.

والصيام جنة أي وقاية من المعاصي، وحماية لصاحبه من السفه والزلل، ولذلك يجب على الصائم أن يحرص على صيامه من أن تشوبه شائبة الذنب الذي يذهب بفضله، وينقص أجره، وحري بالصائم الذي عرف أن الصيام لله وهو المجازي به، أن يبتعد عن كل ما من شأنه أن يؤثر على هذا الصيام أو يخدش صحته أو يعرضه للفساد وذهاب الأجر.

فالصيام الذي يراد به وجه الله تعالى يجب أن يبتعد به صاحبه عن الرفث واللغو والغيبة والنميمة وفحش الكلام فالصائم ليس شتاماً ولا سباباً ولا مغتابا ولا نماماً ، حتى لو وصل الأمرُ إلى القتال فالجوابُ واضحٌ، والردُ جليٌّ "إني امرؤ صائم". فحالُ الصائم لا يُناسِبها السباب والشتم والقتال والخصام، إنما يناسبها فضائل الأخلاق ومكارم الصفات، وهي الخصال الكريمة التي تليق بالصائم الذي جعل الله تعالى خلوف فمه ـ أي رائحة فمه جراء الصيام ـ أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، وإن المسك بعض دم الغزال، وإذا ما ذكر المسك عرفنا انه من أطيب العطور، بل من أثمنها وأجلها، تعرف رائحة صاحبه عن بعد، ويستبشر به رائيه من قرب، وقد كان رسولكم الأسوة، صلى الله عليه وسلم، يحب الطيب وقد حبب إليه من دنياكم الطيب وجعلت قرة عينه في الصلاة.

ويبشر الرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، الصائم بفرحتين يفرحهما، الفرحة الأولى إذا افطر فرح بفطره، نعم، وله أن يفرح، وقد وفقه الله تعالى لصيام يوم من شهر رمضان منع نفسه فيه عن الطعام والشراب وسائر الشهوات ،فجاء الغروب وحلت معه فرحة الإفطار حين يلتقي الصائمون بأسرهم وبأرحامهم أو إخوانهم المسلمين، ليجتمعوا على مائدة الرحمن، مائدة الإفطار معلنين انتهاء يوم من أيام الصيام، للدخول إلى يوم آخر بنفوس تبشر بالخير، وتنظر إلى المستقبل،

وترجو رحمة الله تعالى ورضوانه وقبوله لهذا العمل الجليل وهذه العبادة الكريمة. وهذه فرحة الصائم في الدنيا، وتنتظره فرحة أخرى عند لقاء ربه حيث يفرح بصومه الذي يجده أمامه يوم القيامة يقول : أي رب لقد منعته الطعام والشراب فشفعني فيه، فيشفع الصيام لصاحبه.وما أعظم هذه الشفاعة وما أحوج الإنسان لها يومَ لا ينفعُ مال ولا جاه ولا ولد ولا سلطان ولا يوجد درهم ولا دينار، بل الجنة عن اليمين والنار عن الشمال، وليس أمام العبد إلا الصراط يجتازه إلى دار الرضوان.

فتأتي شفاعة الصيام في مكانها ووقتها يفرح الصائم بصومه، ويجد جزاء ما قدم في دنياه حاضراً بين يدي العدل الرحيم، مالك الملك ذي العرش العظيم، الذي يجازي بالعفو ويكافئ بالمزيد، فحق للصائم أن يفرح بلقاء ربه وأنعم بهذا اللقاء، لقاء الخير والحب والمغفرة والرضوان ونيل الجائزة من الملك الرحيم الرحمن.

فهلا أخلصنا معاشر المسلمين نوايانا لله، وأدينا الصيام على وجهه الأكمل، وحفظناه من كل شائبة، وتوجهنا إلى الله بقلوب منكسرة ، وأكف ضارعة أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا ويجعله خالصا لوجهه الكريم، حتى نلقاه وحده وهو راض عنا، ونفوز ببشارة الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، بالفرحة عند لقاء ربنا يوم يجزينا على صومنا.

نسأل الله تعالى القبول إنه أكرم مسؤول وأبر واعد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(قال اللّه عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم . والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيبُ عند اللّه من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرِح ، وإذا لقِيَ ربَّه فرح بصومه)

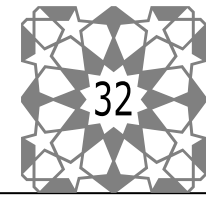

في بدر

16/رمضان/1428هـ وفق 2007/9/28م

وتحدثنا كتب السيرة عن موقف النبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في غزوة بدر الكبرى ،تلك الغزوة التي قادها النبي عليه الصلاة والسلام بنفسه وهي أول مواجهة بين الحق والباطل، بين المسلمين المؤمنين من جانب وبين قريش بخيلها وخيلائها وشركها وكفرها من جانب آخر ﴿إِذ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (الأنفال: 42) إنها مواجهة بين الكفر والإيمان، بين الوجود الإسلامي الناشئ في المدينة وبين الكفر الذي أصم أصحابه وأضلهم وأعمى أبصارهم، فما عادوا يفرقون بين حق وباطل، وبين أصنام وأوثان يصنعونها بأيديهم ليعبدوها من دون الله، هذا الصلف الذي قادهم باستشراف الشيطان لمحاربة الإيمان وأهله، لا بل محاولة القضاء عليه في مهده، ولما لم يحققوا ذلك أصروا على الوصول إلى بدر .ليقيموا فيها وينحروا الإبل ويشربوا الخمر وتغني لهم القيان لتسمع العرب بهم وتزداد هيبتهم بين العرب.

إنه قضاء الله ساقهم الله إليه ليقضي الله أمراً كان مفعولا، بهزيمة قريش فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيا عن بينة ويؤيد الله دينه وينصر رسوله والمؤمنين، ويشف صدور قوم مؤمنين لتصبح جزيرة العرب تتحدث عن قوة المسلمين ،وهيبتهم بعد هذا النصر المبين والفرقان العظيم.

وكانت بداية الإعداد لهذا اللقاء الحاسم هي خروج المسلمين للتعرض لعير قريش وقافلة تجارتها العائدة من بلاد الشام، فلم يأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، جميع المسلمين بالتأهب لهذا اللقاء

وكذلك كان الخارجون معه أعدادا قليلة لم تتجاوز ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، لم يكونوا بكامل عدتهم وعتادهم، بل منهم الذي تسلح بالسيف أو الرمح وقليل من النبل، وأغلبهم لا يجد ما يحمل عليه من الإبل أو الخيل، فلم تزد خيلُهم عن فرسين، وإبلُهم عن سبعين يتعاقب على الجمل الواحد الرجلان والثلاثة .

وتنجو قافلة قريش من الوقوع بأيدي الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصحبه بدهاء وذكاء من أمير القافلة أبي سفيان بن حرب الذي أرسل إلى قريش من يستصرخها لنجدة تجارتها وقافلتها.

ليتنادى جمع الباطل ويسير للقاء المسلمين، وإذا كان التعرض لقافلة قريش يؤثر على وضعها الاقتصادي والسياسي بين أهل الجزيرة العربية، كما أن وقوع القافلة بأيدي المسلمين هو الأهون عليهم والأقل كلفة من المواجهة، فإن الله أراد لهذا الدين ولجماعة المسلمين أمراً آخراً.أراد الله لهم أن يواجهوا ويحاربوا ويجاهدوا ليكون الهدف أسمى والغاية أعلى من كل مكاسب الدنيا.

إنه إحقاق الحق ورفعة شأنه وهزيمة الباطل ودحر جنده ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الأنفال:7) ونزل النبي عليه الصلاة والسلام في بدر والماء لا يزال في متناول أعدائه لتأتي مشورة الحباب بن المنذر، وهو الصحابي الخبير بمواقع الحرب ليقول يا رسول الله "أهذا منزل أنزلكه الله فلا ينبغي أن نتحول عنه أم أنها الحرب والرأي والمكيدة، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام، بل إنها الحرب والرأي والمكيدة، فيشير الحباب بأن يغور المسلمون كل الآبار، ويحافظوا على ماء يشربون منه ولا يصل إليه الأعداء" وفي هذا الرأي ميزة عسكرية، فالجيش في الحرب أحوج ما يكون إلى الماء ويأتي مدد السماء مؤيدا للمسلمين في ليلة المعركة.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال:11) كما يأتي جيش الملائكة مددا معنويا وتثبيتا إيمانياً من الله لعباده المؤمنين ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:12) ليقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: (ابشر يا أبا بكر فهذا جبريل ممسك بعنان فرسه) وهذا يأتي بعد إصرار المسلمين على نصرة النبي، صلى الله عليه وسلم، ووقوفهم إلى جانبه، فقد قال المقداد بن عمرو: (يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا إلى برك العماد لسرنا معك) (صحيح ابن حبان / كتاب التاريخ / باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن) .

ولكن النبي محمد ﷺ يريد رأي الأنصار الذين عاهدوه على حمايته في المدينة ليتكلم زعيمهم سعد بن معاذ ليقول : (لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك).

فسر النبي عليه الصلاة والسلام بهذا القول من الصحابة الكرام فقال لهم:سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. وراح الرسول، صلى الله عليه وسلم، يدعو ربه ويلح في الدعاء قائلاً : (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة) وظل يناشد ربه متضرعاً خاشعاً وهو يبسط كفيه إلى السماء حتى أشفق عليه أبو بكر

رضي الله عنه وقال له : (يا رسول اللّه أبشر فو الذي نفسي بيده لينجزن اللّه لك ما وعدك) (سنن أبي داود / أول كتاب الجهاد / باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرن).

وكذلك فعل المسلمون فراحوا يستغفرون الله ويستغيثونه ويخلصون له في الضراعة.

وفي صبيحة يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان المبارك من العام الثاني للهجرة النبوية الشريفة، بدأت أحداث غزوة بدر الكبرى بعد أن رمى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بما في كفه من الحصباء في وجوه جيش الكفر قائلاً: (شاهت الوجوه)، فملأت الحصباء أعين الكفار ودارت المعركة حيث رمى المسلمون المشركين بالنبال وحمي الوطيس، وكان ـ كما قال علي كرم الله وجهه ـ الرسول، عليه الصلاة والسلام ، أقربنا إلى صفوف المشركين يجاهد وينافح وما هي إلا ساعات قليلة من نهار رمضان حتى انحسرت المعركة عن نصر مؤزر للمسلمين، وقتل من كفار قريش سبعين رجلاً وأسر مثلهم، واستشهد من الصحابة الكرام أربعة عشر رجلاً وألقيت جثث المشركين في قليب في بدر، وساق المسلمون الأسرى إلى المدينة، وهم يزفون إليها وإلى أهلها أخبار نصر المسلمين ورفعة شأن هذا الدين.

وهكذا كان تاريخ أجدادكم وأسلافكم من الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان، فهلا أخذنا يا مسلمون العبرة والعظمة والدروس من هذا التاريخ المشرق والإيمان الساطع لنعيد عزة الإسلام، وكرامة المسلمين بنصر مؤزر مبين يجتمع فيه المسلمون على هدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ويستنيرون بسيرته العطرة وهديه الشريف، وقد ترك فينا ما إن أخذنا به لن نضل أبداً كتاب الله وسنته الشريفة.

يعلمنا دعاء ليلة القدر

23/رمضان/1428هـ وفق 5/10/2007م

وتروي لنا الصديقة بنت الصديق أمنا عائشة، رضي الله عنهما، قالت: قلت يا رسول اللّه : (أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال :قولي:اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) (سنن ابن ماجة / كتاب الدعاء / باب الدعاء بالعفو والعافية).

هذا بعض هدي النبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في ليلة القدر فيما يخص الدعاء ليلتها، إذ الغاية لدى كل مسلم يقوم هذه الليلة وغيرها أن يدعو الله تعالى بقبول أعماله وعباداته وأذكاره وكل ما يقدمه من أفعال الخير.

والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تحرص في هذه الليلة وهي الحريصة دائما على معرفة هدي النبي عليه الصلاة والسلام في جميع شؤون الحياة، وبخاصة ما يقود إلى الفوز بالآخرة. كما كان كل الصحابة، رضوان الله عليهم، يحرصون على أخذ الأحكام عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والسيدة عائشة، رضي الله عنها، التي سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول بحق ليلة القدر: (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا)، تدرك أن فضل هذه الليلة كبير وقدرها عظيم، فقد سميت بليلة القدر لعظم قدرها وجزيل ثوابها. فمن قامها وأحياها إيمانا واحتسابا أي بنية خالصة لله تعالى، فإن الله يمن عليه بغفران الذنوب، ولما لهذه الليلة من مزايا كثيرة حرص النبي عليه الصلاة والسلام أن يحث المسلمين على قيامها وإحيائها وتحريها، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام (جاوز أصحاب النبي، صلى اللّه عليه وسلم، السبع الأوسط من رمضان ، فقال النبي، صلى اللّه عليه وسلم، : من كان منكم متحريا ، فليتحرها في السبع الأواخر) (صحيح البخاري / كتاب صلاة التراويح / باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر) وكان،

صلى الله عليه وسلم، يعتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ويحث الناس على تحري ليلة القدر في العشر الأواخر.

فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قال : (تحروا ليلة القدر في الوتر، من العشر الأواخر من رمضان) (صحيح البخاري / كتاب صلاة التراويح / باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر) ، وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان مالا يجتهده في غيرها، فقد روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (كان رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم،، إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر) (صحيح مسلم / كتاب الاعتكاف / باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان) ، وفي هذا بيان لأمته وتشريع في إحياء ليالي هذا الشهر المبارك لما فيها من الأجر والثواب، وبخاصة أن شهر رمضان المبارك له ميزات كثيرة فهو شهر الصيام وشهر الصبر وشهر القرآن وشهر فيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر وللعلماء، رضوان الله عليهم، أقوال كثيرة في فضل هذه الليلة، فهي ليلة العمل فيها خير من ألف شهر وقد كانت الأمم السابقة لا ترى الرجل عابداً حتى يعبد الله ألف شهر.

وكان النبي، عليه الصلاة والسلام، قد استقل أعمار أمته، فأعمار هذه الأمة بين الستين والسبعين، فكانت ليلة القدر تعويضا للأمة الإسلامية إذ إن أجر العامل فيها كالعمل ألف شهر وهذه الليلة المباركة كما ذكر القرآن الكريم (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) (الدخان:3) ، فقد كان نزول القرآن الكريم في شهر رمضان وفي ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ومن ثم نزل منجما على النبي، صلى الله عليه وسلم، في ثلاث وعشرين سنة، وكان نزوله في هذه الليلة المباركة عظيمة القدر، فهي ليلة ذات قدر، نزل فيها كتاب ذي قدر على رسول ذي قدر على أمة ذات قدر، فلله الحمد والمنة وله الشكر على هذه النعمة التي حبانا بها نحن أمة الإسلام.

فجعل لنا مواسم خير يضاعف فيها ثواب العمل، ومن هذه المواسم شهر رمضان المبارك. الذي جعل الله صيامه فرضاً "وقيامه تطوعا" وغفر لمن صامه محتسباً ما تقدم من ذنبه، كما

غفر لمن قامه محتسباً ما تقدم من ذنبه، وجعل أجر العاملين في ليلة القدر كأجر العمل في ألف شهر ولذلك (كان النبي، صلى اللّه عليه وسلم، أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، أجود بالخير من الريح المرسلة) (صحيح البخاري / كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله) ، فعلينا معاشر المسلمين أن نقتدي ونهتدي بهدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في صيام شهر رمضان وقيامه، وإحياء لياليه، وعلى وجه الخصوص تحري ليلة القدر وإحيائها في العشر الأواخر من هذا الشهر الفضيل، عسى أن نوافقها، ونحن ندعو بدعاء النبي، صلى الله عليه وسلم، "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني". اللهم اعف عنا وعن والدينا وعن جميع المسلمين يا رب العالمين، واجعلنا من عتقائك من النار في هذا الشهر المبارك، إنك يا مولانا على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(كان النبي، صلى اللّه عليه وسلم، أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، أجود بالخير من الريح المرسلة)

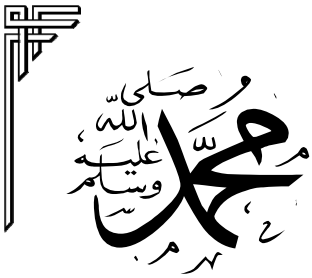

الرسول والرسولة

في العيد

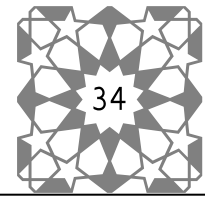

1/شوال/1428هـ وفق 12/10/2007م

من حكمة الله تعالى أن جعل عيدي المسلمين الفطر والأضحى يأتيان بعد أداء فريضة الصيام وفريضة الحج إلى بيت الله الحرام، فعيد الفطر يأتي في اليوم الأول من شهر شوال بعد أن يؤدي المسلمون عبادة الصيام في (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ)(البقرة:185)

وقد أمرنا الله بصوم هذا الشهر بقوله: (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة:185).

والصيام ركن من أركان الإسلام الخمسة وهو عبادة عظيم ثوابها ، جزيل أجرها، ويكفي الصيام شرفاً من بين أعمال العبد أن الله اختصه لنفسه فقال في الحديث القدسي: (**كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك**) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب فضل الصوم).

كما أن عيد الأضحى يأتي بعد الوقوف بعرفة وأداء معظم مناسك عبادة الحج، والحج ركن من أركان الإسلام وفريضة محمكة فرضها الله على المستطيع بدناً ومالاً من المسلمين أن يؤديها مرة في العمر، (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (آل عمران:97).

ولما كان العيد من أيام الله تعالى وهو يوم البهجة وشكر النعمة ، فقد بين الرسول، صلى الله عليه وسلم، أحكام هذا اليوم وما يتم فيه من أعمال الطاعات بهديه الشريف وسنته القويمة.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم العيد إلى مصلى خاص بالعيد عند بوابة المدينة الشرقية يجتمع فيه الناس الرجال والنساء وحتى الأطفال. ويبدأ عليه الصلاة والسلام في آداء

صلاة العيد وهي شعيرة من شعائر هذا اليوم، ثم يخطب في الناس ويأمرهم ويحثهم على فعل الخير، وكان عليه الصلاة والسلام يحث النساء كذلك على الصدقة.

ولعل الحكمة من حضور الرجال والنساء إلى مصلى العيد هو اجتماع المسلمين والاستماع إلى هدي النبي عليه الصلاة والسلام، وهو عليه السلام الحريص على هداية الأمة وتعليمها أحكام دينها.

وكان، صلى الله عليه وسلم، في يوم الفطر لا يخرج حتى يأكل شيئاً، وكان يأكل عدداً من التمرات وتراً كما أخرج البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات. وقال مرجأ بن رجاء : حدثني عبيد اللّه قال : حدثني أنس ، عن النبي، صلى اللّه عليه وسلم، : ويأكلهن وترا) (صحيح البخاري / كتاب العيدين / باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج).

وهذا الهدي هو محل اتفاق العلماء ولا خلاف في استحباب الأكل يوم الفطر قبل الخروج إلى الصلاة، وهو مبادرة إلى امتثال أمر الله تعالى بوجوب الفطر بعد وجوب الصوم.

فإذا لم يتوافر التمر أفطر المسلم على غيره ولو شربة ماء حتى يكون المسلم قد عمل بسنة النبي عليه الصلاة والسلام واقتدى بهديه الشريف.

ولما كان يوم العيد هو يوم اجتماع المسلمين، فحري بالمسلم أن يتجمل لله، ويلبس أنظف ثيابه وإن كان جديداً فهو الأفضل، فقد ورد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة.

وكذلك الاغتسال والتطيب وكل هذا لإظهار نعمة الله وشكره على التوفيق للطاعة، وإظهار الفرح بأداء العبادة، ولا شك أن المسلم يجب أن يحرص على حسن مظهره ونقاء سريرته وطهر طويته كما كان من هديه عليه الصلاة والسلام أن يخرج لصلاة العيد ماشياً، ويعود إلى بيته ماشياً، وكان يخالف الطريق، فقد روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، يخرج إلى العيد ماشيا ويرجع ماشيا) (سنن ابن ماجة / كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ما جاء في الخروج إلى العيد ماشيا) .

وإذا انتهى عليه الصلاة والسلام إلى المصلى شرع في الصلاة من غير أذان ولا إقامة، وكان لا يصلي في مصلى العيد غير صلاة العيد، فإذا رجع إلى بيته صلى ركعتين، فإذا فرغ من الصلاة قام مقابل الناس والناس جلوس في صفوفهم يعظهم ويوجههم ويأمرهم وينهاهم، وإن كان يريد بعثاً بعثه أو يأمرهم بشيء أمر به.

إنه هدي المصطفى، صلى الله عليه وسلم، في يوم العيد، فهلا اتبعنا هذا الهدي القويم حتى نفوز بالاقتداء بالرسول الأسوة عليه الصلاة والسلام ، فيكون الاحتفاء بيوم العيد موافقاً للسنة النبوية الشريفة وللهدي الكريم.

وهلا ابتعدنا عن العادات السيئة التي ترافق الاحتفال بيوم العيد، كلعب أولادنا بالمفرقعات، وقضاء يوم العيد في اللهو بالمتنزهات وربما اقتراف الكثير من المنكرات والمنهيات.

هلا عدنا إلى هدي المصطفى، صلى الله عليه وسلم، في يوم العيد ليكون هذا اليوم تتويجاً لطاعة الصيام واستزادة في طلب الثواب الذي يحصل من خلال الاقتداء بسنة المصطفى العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام.

إن العيد يهتف بنا أن نوحد الصف، ونلم الشعث، ونحسن إلى الأيتام والأرامل والمساكين ونتفقد أبناء الشهداء والأسرى والمعتقلين.

ونمسح بيد الرحمة الحزن عن وجه طفل فقد أباه، ونواسي معوزاً بمد يد العون لمساعدته وإغاثته، ونشيع المحبة بين أبناء المجتمع.

وإذا فعلنا هذا بجانب أداء شعائر يوم العيد كنا محتفين بحق وحقيقة بيوم عيد الفطر الذي نسأل الله تعالى أن يعيده على أبناء شعبنا الفلسطيني، وعلى أبناء أمتنا الإسلامية بعز ونصر المسلمين. وما ذلك على الله بعزيز، إن نحن اتبعنا هدي رسولنا الأسوة، صلى الله عليه وسلم،.

يحث على صيام ستة من شوال

ونقف على هدي النبي عليه الصلاة والسلام الذي يحثنا فيه على صيام النافلة أو التطوع خارج شهر الصبر شهر رمضان، الذي فرض الله صيامه على الأمة الإسلامية، كما كتبه على الذين من قبلنا فقد جاء عن أبي أيوب، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (من صام رمضان، ثم أتبعه ستا من شوال، كان كصيام الدهر) (صحيح مسلم/ كتاب الصيام / باب استحباب صوم ستة أيام من شوال أتباعا).

إنها تربية النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه ولأمته، فهو يوجه المسلم الذي وفقه الله لصيام رمضان أن يتبع هذه الفريضة بصيام ست من شوال، وذلك لحرص النبي عليه الصلاة والسلام على هذه الأمة، فصيام رمضان له أجر كبير ويكفي أن الله عز وجل يختاره من بين أعمال العبد ليجزي به الثواب الجزيل والأجر العظيم، وقد ورد (من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية)، ولكي يفوز المسلم بالأجر كاملاً وبالثواب شاملاً حث النبي عليه الصلاة والسلام على صيام النافلة باتباع شهر الصيام بصيام ستة أيام من شوال، ولما كان الثواب عند الله الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة كما ورد في القرآن الكريم (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١) (البقرة:261).

فمن صام رمضان وستاً من شوال كان كصيام الدهر كله، فاليوم بعشرة أيام والحسنة بعشر أمثالها، وبهذا يكون المسلم الذي جمع بين صيام شهر رمضان وبين صيام ستة أيام من شوال قد أكمل صيام العام كله في جمعه بين الفرض والنفل والتطوع، فقد أخرج ابن ماجه والنسائي

بلفظ: (جعل اللّه الحسنة بعشر أمثالها ، فشهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة) (سنن ابن ماجة / كتاب الأدب / باب فضل العمل) .

فصيام ستة أيام من شوال هو إتمام لموسم الصيام والطاعة الذي يفتتح في شهر رمضان، ومعلوم أن صيام شهر رمضان هو ركن من أركان الإسلام، كما أن صيام الفريضة التي كتبها الله على الأمة الإسلامية كما كتبها على الأمم السابقة: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾) (البقرة:183)، وقوله: (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ) (البقرة:185).

فلا أجمل ولا أنفع للعبد من أن يتبع الفريضة بنافلة خفيفة على النفس، قريبة إلى رحمة الله ورضوانه، فبعد أداء الشكر ونيل الجائزة بالفطر في يوم العيد الذي يأتي تتويجاً لعبادة الصيام في الأول من شهر شوال، إذ كما وجب الصيام والامتناع عن الطعام والشراب في أيام شهر رمضان، فإن الفطر في يوم العيد واجب بل يحرم فيه الصيام، فمن أراد أن يبقى في رحاب الطاعة، ويطلب المزيد من الثواب والأجر فليشرع في صيام النفل في شهر شوال وهي ستة أيام بينها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خلال شهر شوال.

ولا يشترط صيام هذه الأيام الستة متتابعة وإن كان التتابع أفضل، وقد ورد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، الحث على صوم التطوع لما لعبادة الصيام من الفضل، فقد روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قوله: (لا يصوم عبد يوما في سبيل اللّه ، إلا باعد اللّه تعالى بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا) (سنن النسائي (المجتبي) / كتاب الصيام / باب ذكر الاختلاف على سفيان الثوري فيه).

ولما كان هذا هو فضل الصيام، فإليك أخي المسلم دوحة الصيام فتخير من رياضها ما استطعت رجاءً ثواب الله تعالى، عسى أن نكون وإياك ممن يتبعون سنن الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام حيث صيام التطوع كما يأتي:

1. صوم يوم وإفطار يوم وهو أفضل صيام التطوع لما ورد (صم يوما، ولك أجر ما بقي، قال: إني أطيق أكثر من ذلك، قال : صم ثلاثة أيام. ولك أجر ما بقي، قال: إني أطيق أكثر من ذلك قال: صم أربعة أيام. ولك أجر ما بقي، قال: إني أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصيام عند اللّه. صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما) (صحيح مسلم / كتاب الصيام / باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به).

2. صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل أن تكون الأيام البيض وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

3. صوم يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع.

4. صوم ستة أيام من شهر شوال، ولا يشترط فيها التتابع .

5. صوم يوم عرفة لغير الحاج.

6. صوم ثمانية أيام من شهر ذي الحجة قبل يوم عرفة.

7. صوم تاسوعاء وعاشوراء أي التاسع والعاشر من شهر محرم.

8. الصيام في الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.

9. صوم شعبان.

فهذه دوحة الصيام فتخير أخي المسلم ما شئت منها حتى نكون إن شاء الله ممن يقتدون بالرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي حثنا على صيام هذه الأيام تطوعاً.

عسى الله تعالى أن يكفر ذنوبنا ويتقبلنا مع عباده الصالحين إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

يحثنا على اتقاء الشبهات

ويروي لنا النعمان بن بشير رضي الله عنه عن الرسول القدوة، صلى الله عليه وسلم، قال سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام. كالراعي يرعى حول الحمى. يوشك أن يرتع فيه. ألا وإن لكل ملك حمى . ألا وإن حمى الله محارمه . إلا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت ، فسد الجسد كله . ألا وهي القلب**) (صحيح البخاري / كتاب البيوع / باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات).

في هذا الهدي الشريف بيان جامع، وعرض شامل لحدود تصرفات المسلم الذي أباح الله ورسوله له أن يدور في دائرة الحلال، يتخير منها ما يشاء ويفعل ما يشاء لأنها حلال واضح وبين، كما نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المسلم أن يخالط أو يقترب من دائرة الحرام البين كذلك، لأن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، فالتحليل والتحريم للأشياء أو الأفعال هي من اختصاص الشارع وطريق ذلك ما بينه الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فقد أوحى الله إلى رسوله، صلى الله عليه وسلم، القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى يبين فيه الحلال والحرام والمشتبه والمتشابه، كما بين الرسول عليه الصلاة والسلام من خلال السنة كثيراً من أحكام القرآن الكريم، وما لم يرد في القرآن الكريم بينته السنة النبوية الشريفة، وقد ورد : (**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**) (سنن أبي داود / كتاب السنة / باب في لزوم السنة).

فمرجعية التشريع قول الله تعالى وقول رسوله الأكرم، صلى الله عليه وسلم، وما دام الحلال بيّن والحرام بيّن، فلا مجال للوقوع في الحرام لمن وقف عند حدود التحريم، وخشي الله تعالى من

اقتراف الحرام، ولكن الوقوع في الحرام أو الوصول إلى الحرام يتم ـكما بينا ـ من خلال الأمور المشتبهة بين الحلال والحرام.فلا قطع بحلها كما يشتبه دليل حرمتها.

وسبيل البعد عن الوقوع فيها أشار إليه الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، وذلك باتقائها والبعد عنها، (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه) (صحيح مسلم / كتاب المساقاة / باب أخذ الحلال وترك الشبهات) أي اجتهد في طلب التبرء من التهمة وعمل على الخلاص منها.وإذا فعل ذلك فقد انحاز لدينه والتزم بالورع ببعده عن مواطن الريبة والشبهة، وكان في معزل عن الوقوع في الحرام لأن الوقوع في الشبهات هو طريق الوقوع في الحرام.

ومثل لنا الرسول، صلى الله عليه وسلم، ذلك براعي الغنم يحوم حول حمى ملك أو زعيم يوشك أن يقع فيه وترتع فيه غنمه وعندها يقع تحت طائلة العقاب والمسؤولية لأنه تجاوز حدود الحمى ورتع فيه، وخالط الريبة، ومن خالط الريبة يوشك أن يواقعها ويجسر على مقارفتها، وهكذا يقع في الحرام.

وقد بين الرسول القدوة عليه الصلاة والسلام أن حمى الله محارمه، فمن حام حول الحرام أوشك أن يقع فيه، وهكذا يقع المرء في المعاصي التي هي من محارم الله، لأنه رتع حولها فأوشك أن يخالطها ويقترفها ومن فعل ذلك اجترأ، ومن اجترأ ارتكب الحرام واقترفه ـ نعوذ بالله من ذلك ونسأله النجاة من المعاصي وما يوقع في الحرام ـ استبراءً لديننا وإخلاصاً في أعمالنا واتباعاً لهدي نبينا عليه الصلاة والسلام الذي إذا اتبعناه نجونا وأحبنا الله ورسوله، فالله تعالى يقول : (قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (آل عمران:31).

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (..... فمن رغب عن سنتي فليس مني) (صحيح البخاري / كتاب النكاح / باب الترغيب في النكاح).

فجدير بنا أخي المسلم إن أردنا أن نستبرأ لديننا وعرضنا أن نبتعد عن كل الأمور المشتبهة بين الحلال والحرام وهي إلى الحرام أقرب، فلا نرعى حول حمى المحرمات والمشتبهات حتى لا نقع في الحرام. والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (**إن اللّه تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**) (المعجم الصغير / باب النون / من اسمه نوح).

كما بين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن مدار صلاح الإنسان يرتكز على صلاح قلبه وهلاكه يرتكز على فساد قلبه: (**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت ، فسد الجسد كله . ألا وهي القلب**) (صحيح مسلم / كتاب المساقاة / باب أخذ الحلال وترك الشبهات)، **فالقلب هو محل الإيمان ومركز النوايا، وهو كذلك محل الإدراك لأحكام الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، لذلك عاب الله على الكافرين والمشركين بأن قلوبهم مختومة ومقفلة، قال تعالى:** ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (البقرة: 7)، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ (محمد: 24) وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:46).

فمدار صلاحك أيها المسلم في الدنيا على صلاح قلبك، ومدار نجاتك في الآخرة على هذا القلب، فاحرص على قلب طاهر، واغسله بماء نقاء الإيمان، ولا تدخلّن عليه شبهة الاجتراء على محارم الله فيفسد وإذا فسد، فسد الجسد كله، وذلك هو الخسران المبين.

أعاذنا الله وإياكم من فساد القلوب والنفوس، ووفقنا إلى إتباع هدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، حتى نكون من الفائزين في الدنيا والآخرة باجتناب الشبهات والمشتبهات واتباع ما أحل الله ورسوله.

وصلى الله وسلم وبارك على قدوتنا وأسوتنا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

يوصي بالنساء خيرا

ويروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا . وخياركم خياركم لنسائهم) (رواه الترمذي).

إنه هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم يشير إلى علامة عظيمة في كمال الإيمان وخيار الناس، فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، كما أن خيار الناس من كان خير الناس لنسائه.

وما من شك أن الأخلاق من أمهات الفضائل التي دعت إليها الشرائع الربانية وخاتمتها شريعتنا الغراء، وقد أولت الشرائع جميعها أهمية بالغة للأخلاق، ويكفي دلالة على هذا ما قاله النبي، صلى الله عليه وسلم :" إن لكل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء" (أخرجه الألباني)، وقد مدح الله أصحاب الأخلاق في كتابه العزيز، وعلى رأسهم سيدهم رسولنا القدوة عليه الصلاة والسلام فقال بحقه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾) (القلم:4) ، وقال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾) (الأنبياء: 107)، وقال تعالى: (فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ) (آل عمران: 159).

وأثنى الله على كثير من رسله وأنبيائه في كتابه الكريم بإحدى أمهات الأخلاق، فقال بحق نوح عليه السلام : (سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾) (الصافات).

وقد مدح الله المتواضعين من عباده ونسبهم إلى ذاته العزيزة فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ (الفرقان: 63)، وذكر الله تعالى الصادقين والصادقات والمتصدقين والمتصدقات في معرض الثناء عليهم وعلى أخلاقهم التي تدل على كمال إيمانهم وخيرتهم بين الناس وما أعده الله لهم من الخير والأجر العظيم.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٣٥﴾﴾ (الأحزاب: 35).

وإذا كان من صفات المؤمنين، بل من كمال إيمانهم اتصافهم بحسن الأخلاق وخيارهم من كان خيراً لبيته وأهله، فما ذلك إلا لأهمية بناء الأسرة والبيت على أسس الإيمان والفضائل والأخلاق لأن البيت الصالح هو الذي يرعى ويربي الذرية الصالحة، ولا صلاح للذرية بعيداً عن صلاح الأباء والأمهات كما أنه لا صلاح للمجتمع بغير صلاح الأسرة التي تشكل اللبنة الأساسية لبناء المجتمعات والأمم.

لذلك وجه النبي القدوة عليه الصلاة والسلام إلى أمرين مهمين لا بدّ منهما لصلاح الأسرة وهما حسن الخلق والإشادة به إذ يتحلى به أكمل المؤمنين كما أن خيار الناس هم خيرهم لنسائهم.

وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام تنقل لنا حياته في بيته ومع أهله؛ فقد كان حريصاً على العدل والرحمة والبر بأهل بيته مع تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام. فكان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته، ويهدي إلى صديقات خديجة رضي الله عنها بعد موتها وفاءً لها، ويقوم لفاطمة رضي الله عنها ويقبلها ويجلسها على ردائه، ويلاعب الحسن والحسين السبطين الكريمين سيدي شباب أهل الجنة.

ويقبل الأطفال ويداعبهم وقد روي: (**أن الأقرع بن حابس أبصر النبي، صلى اللّه عليه وسلم، وهو يقبل الحسن (قال ابن أبي عمر الحسين والحسن) فقال إن لي من الولد عشرة ما قبلت أحدا منهم فقال رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، إنه من لا يرحم لا يرحم**) (سنن الترمذي / كتاب البر والصلة عن رسول الله /باب ما جاء في رحمة الولد).

إنها أخلاق النبوة تتجلى بأسمى صورها الأخلاقية في شخص النبي وإخوانه من الأنبياء والمرسلين. ويحث عليه الصلاة والسلام أمته أن يتخلقوا بالأخلاق الفاضلة، فصاحب الخلق قريب إلى قلوب الناس في الدنيا ، كما أنه قريب إلى النبي عليه الصلاة والسلام في الآخرة : "**ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ثلاث مرات يقولها قال قلنا بلى يا رسول اللّه قال فقال أحسنكم أخلاقا** " مسند أحمد.

فهل يحتاج المسلم زوجاً كان أو أباً أو أخاً أو ابناً بعد هذا البيان إلى مزيد من الحث على التحلي بحسن الخلق الذي يكتمل به إيمانه ويكون به خيّراً بل من خيار الناس.

وقد اشتكت بعض النساء إلى بيوت النبي عليه الصلاة والسلام قسوة الأزواج فجاء قول النبي، صلى الله عليه وسلم، واضحاً في هذا الأمر فقال :" **لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم** " (سنن أبي داود / كتاب النكاح / باب في ضرب النساء).

فمن أراد أن يكون من خيار الناس فليحسن معاملة أهله وليغلب دائماً الايجابيات على السلبيات فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول :" **لا يفرك مؤمن مؤمنة . إن كره منها خلقا رضي منها آخر . أو قال : غيره** " (مسند أحمد / مسند أبي هريرة رضي الله عنه) ، ومعنى لا يفرك أي لا يبغض. وواجب المرأة كذلك أن تتحلى بالأخلاق الفاضلة وتكون خير عون لزوجها

في رعاية بيتها وتربية الأبناء والمحافظة على ماله وسره وأن لا تدخل إلى بيته ما يكره، فهي أيضا راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها.

فمن أراد أن يكون من خيار الناس فليتأسَ بخير الناس لنسائه وأهله وذوي قرابته والناس أجمعين، إنه الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، القائل: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (أخرجه الألباني).

وصلى الله وسلم وبارك على قدوتنا وأسوتنا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة، ثلاث مرات يقولها، قال: قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فقال: أحسنكم أخلاقا)

29/شوال/1428هـ وفق 2007/11/9م

ينهى النساء عن طلب الطلاق

ونقرأ حديث ثوبان، رضي الله عنه، قال : (قال رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) (سنن ابن ماجة/ كتاب الطلاق / باب كراهية الخلع للمرأة).

في هذا الهدي النبوي الشريف يحذر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، النساء من طلب الطلاق دون سبب أو مسوغ لذلك؛ لأن الطلاق قطع لأواصر الزوجية التي تقوم على المودة والمحبة والرحمة بين الأزواج قال تعالى : (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾) (الروم: 21)، فقد حث ديننا الحنيف على إنشاء الأسرة وطالب باستمرارها وإدامتها، ونهى عن هدم الأسرة لما يترتب على ذلك من أضرار للزوجة والأبناء والمجتمع.

ولذلك كان الطلاق هو الأمر الطارئ على الحياة الزوجية وليس الأصل، إذ الأصل هو الزواج واستمرار هذا الزواج ضمن علاقات زوجية تقوم على التعاون والتكافل والتفاهم.

وبيّن هدي النبي الكريم عليه الصلاة وأتم التسليم أن الطلاق وإن كان حلالاً مباحاً، فإنه أبغض الحلال إلى الله تعالى فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (ما أحل اللّه شيئا أبغض إليه من الطلاق) (سنن أبي داود / كتاب الطلاق / باب في كراهية الطلاق). (وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: "أبغض الحلال إلى اللّه تعالى الطلاق) (سنن أبي داود).

ويفهم من هذه الأحاديث الشريفة المتقدمة أن الطلاق جائز للحاجة ومكروه عند عدمها، لأن الطلاق قطع للحياة الزوجية وإنهاء لاستمرارها، إذ تشير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على الحث على استمرار الحياة الزوجية وتجنيبها الوصول إلى محطة الطلاق ما استطاع

الزوج إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: (..وَعَاشِرُوهُن بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء:19) ، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول : (**لا يفرك " يبغض" مؤمن مؤمنة. إن كره منها خلقا رضي منها آخر. أو قال : غيره**) (رواه مسلم).

وقد أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من شكى له سوء خلق زوجه بأن يأمرها ويعظها أن تقلع عن هذا الخلق، فتستمر الحياة الزوجية وإلا فالطلاق هو آخر العلاج حتى لا تستحيل الحياة الزوجية إلى نقمة وجحيم لا يطاق، وفي هذا الحال تكثر المفاسد والمشكلات في البيت فلا بد ـ والحال كذلك – أن تنتهي هذه العلاقة الزوجية دفعا للضرر.

وقد سلك الإسلام بالزوجية طرق الإصلاح حفاظاً على هذه الرابطة القوية، وعدم فك الميثاق الغليظ فقال تعالى: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) (النساء:21).

فالزواج هو ميثاق غليظ بين الزوجين عليهما أن يحافظا على استمراره، وعدم نقضه إلا لضرورة تستدعي ذلك وحاجة لا تندفع إلا بإنهائه. وقد جاء الشرع الحنيف لسعادة البشر لا لشقائهم ووقوعهم في الحرج والمشقة، فإذا سلك الأزواج مراحل الإصلاح التي من شأنها أن تساعد على استمرار الحياة الزوجية، ولم تفلح كل هذه المراحل أو بعضها في حل النزاع أو الخلاف المستحكم بين الزوجين، فعند ذلك لا بد من العلاج، وإن كان صعباً وهو الطلاق، فآخر العلاج كما قيل الكي.

ومن خطوات الإصلاح:

أولاً: فهم واقع المرأة وطبيعتها العاطفية، وهذه نعمة تظهر في تربية الأبناء والحرص عليهم كما أنها تنمي أواصر المودة بين المرأة وزوجها، ولذلك شبهت النساء برقة عواطفهن

بـــالقوارير، وقد ورد "رفقاً بالقوارير".

وقال تعالى بحق الأنثى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف:18).

ثانياً: الصبر وذكر المحاسن والوعظ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء: 34)، والذي ينظر إلى ختام الآية يجد أن سلوك هذه المراحل حيث يكون ضرب المرأة من أجل العودة إلى الطاعة . وهذا هو المقصود من سلوك هذه المراحل في الإصلاح، فمتى عادت الزوجة إلى الطاعة يجب أن تتوقف جميع أنواع العقوبات التي أشارت إليها الآية الكريمة، لأن الغاية من ذلك هو تصحيح مسار الحياة الزوجية.

ثالثاً: إذا لم تفلح كل الوسائل الاحتياطية السابقة في الإصلاح فحينها يدعى حكم من أهل الزوجة وحكم من أهل الزوج للتدخل في حل النزاع القائم بين الزوجين ومعالجة الأمر، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء :35).

رابعاً: فإن لم يجد التحكيم سبيلاً إلى الإصلاح؛ وكان رأي الحكمين هو التفريق، حينها لا بد من السير في مراحل الطلاق، وأولها الطلقة الرجعية الأولى التي إذا وقعت لا تزيل الزواج بالكامل، وإنما تنبه الزوجين إلى ضرورة مراجعة النفس، والندم على الحال الذي وصلا إليه فكانت الرجعة خلال عدة الطلاق منفذاً للعودة إلى حياة زوجية هادئة ومستقرة ، بعيدة عن الخلاف الذي أوصل إلى وقوع الطلاق. وكذلك الطلقة الرجعية الثانية ، فإذا وصل الأمر إلى الطلقة الثالثة ـ وهي التي تنهي العلاقة الزوجية في الحال ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ

بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ) (البقـــــرة:230) ، إذا وصل الأمر إلى هذا الحال يكون الزوج قد استنفذ جميع محاولات الإصلاح التي تحد من النزاع الموصل إلى الطلاق والفرقة.

إننا في الوقت الذي نشاهد ونسمع فيه عن وقوع كثير من حالات الطلاق بين الأزواج لسبب أو لغير سبب، نهيب بإخواننا جميعاً أن يحافظوا على روابط الزوجية الصالحة، لتعيش الأسرة في جو من المحبة والمودة والاستقرار بدلاً من هدم عش الزوجية، وتشتيت أفراد الأسرة من الأبناء والبنات.

كما نهمس في آذان الأزواج بأن الرجولة وتوابعها ومظاهرها لا تنحصر في إيقاع الطلاق على الزوجات بل تكون باتباع هدي النبي عليه الصلاة والسلام الذي أوصى بالنساء خيراً فقال: (استوصوا بالنساء خيرا ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ، و إن أعوج شيء في الضلع أعلاه ؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته ، و إن تركته لم يزل أعوج ؛ فاستوصوا بالنساء خيرا) (صحيح البخاري / كتاب النكاح / باب الوصاة بالنساء) ، وقال: (إن من أبغض الحلال إلى اللّه عز وجل الطلاق) (رواه عبد الله بن عمر).

فهلا اقتفينا جميعاً سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يمثل الأسوة الحسنة لنا في جميع شؤون حياتنا الأسرية والحياتية والاجتماعية لنعيش حياة أسرية مستقرة في ظل شرعنا الحنيف.

وصلى الله وسلم وبارك على قدوتنا وأسوتنا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

لما كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع وصلاحه وجهنا رسولنا الأسوة، صلى الله عليه وسلم، إلى معايير اختيار الزوجة الصالحة في قوله، صلى الله عليه وسلم: (**تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك**) (صحيح البخاري / كتاب النكاح / باب الأكفاء في الدين وقوله وهو الذي خلق من).

وإذا دققنا النظر في هذا الهدي النبوي الشريف وجدنا تفصيلاً لصفات المرأة التي يرغب الرجل في زواجها؛ أما أول هذه الصفات وهي المال والحسب والجمال ، فإنها صفات يتفاوت الناس في نظرتهم إليها، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن هذه الصفات تبقى نسبية بين الأشخاص المقبلين على الزواج أو الراغبين في الارتباط بالخطبة التي هي مقدمة للزواج.

كما أن هذه الصفات عرضة للتغيير فلا المال يدوم ، بل هو عارية مستردة ، كما أنه لا يعدو كونه متاعاً من متاع الدنيا الزائل. والجمال كذلك، وإن كان يغري الخاطب مؤقتاً، فليس الجمال بمئزر دائم، بل يخضع لتقدم السن والمتغيرات التي تطرأ على المرأة جراء الإنجاب وتربية الأبناء.والحسب المطلوب هو ما زانه الدين وجملته التقوى وحكمته الأخلاق.

وأما معيار الدين فهو المعيار الثابت الذي لا يعتريه التغيير، ولذلك جاء هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، يحث عليه (**فاظفر بذات الدين تربت يداك**) ، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعيار فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ

وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ) (البقرة: 221) . وقوله تعالى : (وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ) (النور:32) .

والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول : (**تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم**) (سنن ابن ماجة / كتاب النكاح / باب الأكفاء) . كما يقول عليه الصلاة والسلام: (**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**) (المحدث: المنذري ـ المصدر: الترغيب والترهيب ـ الصفحة أو الرقم: 91/3).

فمعيار الدين هو المطلوب في اختيار الزوجة أو الزوج، لأن هذا المعيار هو المقياس الحقيقي لحياة زوجية هادئة وهانئة ، لأن كلاً من الزوجين ينطلق في فهم واجباته تجاه الآخر من تعاليم هذا الدين، ومن جعل الدين حاكماً على تصرفاته أدى واجبه تحقيقاً لروح أوامر الدين وتعاليمه فيكون بناء الأسرة على أسس سليمة، وقواعد متينة تقود إلى السعادة في الدنيا والآخرة، حيث الأزواج الصالحة تلتقي في دار كرامة الله لعباده، وحسب معيار الدين كمالاً وشرفاً أن تكون الأزواج الصالحة في مستقر رحمة الله يوم القيامة.

فهنيئاً لبيت قام في الدنيا على معيار الدين في اختيار عش الزوجية الذي يغرس نطفة صالحة ينتج عنها مولود يتربي في جو من العفة والتدين والأخلاق الحميدة.

وهذه هي ثمار الأسرة الصالحة التي تم اختيار الأم والأب فيها على أساس من التقوى، ومعيار الدين الذي بينه رسول الله عليه الصلاة والسلام عند اختيار الزوجة أو الزوج فقال بحق الزوج: (**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**) (سنن الترمذي/ كتاب النكاح عن رسول الله / باب ما جاء إذا جاء كم من ترضون دينه فزوجوه).

فمعيار الدين لمن أراد حياة زوجية ناجحة هو الذي رغب به الهدي النبوي الشريف وحث عليه وقدمه على سائر المعايير والمقاييس التي تتعرض للتبدل والتغيير.

فالرجل والمرأة وفق هذا المعيار يتساويان ، فكما تنكح المرأة لدينها ، فكذلك الرجل يزوج لدينه ،بل يقدم الدين على غيره لأنه الأمين على العرض والوفي بالعهد وهو الذي يرعى حقوق عقد الزواج الذي سماه الله لأهميته وأحاطه بهالة من التقديس والعناية بالميثاق الغليظ في قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (النساء:21) ،كما أن الزوج صاحب الدين يرعى حقوق الزوجية، ويقوم بما عليه من واجبات تجاه زوجته وأبنائه، حتى في حالة عدم المحبة بين الزوجين للحديث : (**لا يفرك مؤمن مؤمنة. إن كره منها خلقا رضي منها آخر. أو قال: غيره**) (أخرجه مسلم) ، وهذا لا يكون إلا من صاحب دين.

كما أن الزوجة صاحبة الدين تحفظ سر زوجها وماله وبيته وتبتعد عن كل ما يكره وتفعل ما يحب، وتؤدي حقوق الزوجية بطواعية ورضا ومحبة، انطلاقاً من دينها وأخلاقها.

ولعل ما يسود مجتمعات المسلمين اليوم من سوء للعلاقات الزوجية ، وما يترتب على ذلك من طلاق وتشريد للأبناء مرده إلى اختيارات خاطئة بعيدة عن معيار الدين في اختيار الزوجة أو الزوج.

إذ إن الحياة الزوجية القائمة على الدين هي الحياة المستقرة، وما قام على غير هذا المعيار يتغير مع زوال معياره.

وقد نبه الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى ذلك فقال في المرأة التي لا تتصف بمعيار الدين عند اختيار الزوجة: (**إياكم وخضراء الدمن فقيل : و ما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء**) (أخرجه الألباني) ، ولعل ما يحدث في مجتمعنا المقدسي من مشكلات

بين الأزواج ولجوء النساء إلى محاكم الأسرة الإسرائيلية أكبر شاهد على معاناة الأزواج الذين لم يحكموا معيار الدين لدى اختيارهم شريك الحياة.

فهلا ارتفع الأزواج في هذه المدينة المقدسة إلى مستوى المسؤولية، وأصلحوا أمرهم وعملوا على تطبيق أحكام دينهم التي تبين العلاقة المتينة بين الأزواج وتوجه أفراد الأسرة جميعها نحو الخير والمثل التي حث عليها رسولنا الأسوة، صلى الله عليه وسلم، ، وبهذا الهدي وحده تسعد الأسرة، وتبنى البيوت على المحبة والمودة، ويصلح المجتمع بصلاح لبنات بنائه التي اختيرت وفق معيار الدين، والدين وحده.

وصلى الله وسلم وبارك عليكم أهل البيت الذي جمع خير زوج لأفضل الزوجات، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعهن.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ (الأحزاب: 33)

﴿ إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض﴾

يبين فريضة الحج

الحج ركن من أركان الإسلام التي بينها الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في حديثه الشريف فقال: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (متفق عليه)، وهو فرض على المسلم لقوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ) (آل عمران:97) فرضه الله على المسلم في العمر مرة واحدة ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : (خَطَبَنَا _ يَعْنِي رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، _ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ، قَالَ: فَقَامَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ: فِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا، أَوْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ) (رواه احمد). وحذر الله المسلم من تركه وهو قادر عليه بقوله : (وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ) (آل عمران:97) ، وبشر من حج مخلصا لله بغفران الذنوب ، فقال الرسول، صلى الله عليه وسلم، (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (رواه البخاري) .

والحج من أفضل الأعمال التي يؤديها المسلم فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (سُئِلَ النبي، صلى اللّه عليه وسلم، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ :ـ إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ :ـ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :ـ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ) (رواه البخاري) ، والحج المبرور : هو الذي لا يخالطه إثم ، من قبيل ما نهى الله عنه في قوله تعالى : (ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا

جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (البقرة:197) .

وقد حدد الله ميقاتاً زمانياً للحج بقوله : ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ والأشهر المعلومة هي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، ومن العلماء من قال العشر الأوائل من ذي الحجة، أي أن أعمال الحج من الإحرام والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ، والمبيت في منى والوقوف بعرفة ، والإفاضة إلى المزدلفة، ورمي الجمار لا تكون إلا في هذه الأشهر و أيامها ولياليها ، التي تعينت لأداء أعمال الحج ، فلا تصح أعمال الحج خارج هذه المواقيت الزمانية . كما لا يصح للحاج أن يجاوز المواقيت المكانية إلا محرما، وإذا تجاوزها من غير إحرام عاد إليها، وإلا وجب عليه دم في ذلك ، وتلك المواقيت مبينة في كتب الفقه، وهي تختلف باختلاف المكان الذي يقدم منه الحاج .

وفي الأراضي الفلسطينية المباركة تتخذ الإجراءات الإدارية كافة لتسهيل أداء فريضة الحج على أهل بيت المقدس وأكناف بيت المقدس الذين عزموا على شد الرحال من المسجد الأقصى وما حوله إلى المسجد الحرام ، حيث المناسك والمشاعر لأداء هذه الفريضة العظيمة، والعبادة الجليلة بكل يسر إن شاء الله ، قاصدين المسجد الحرام الذي جعله الله حرما آمناً ومكاناً لطواف الحجيج، وسعيهم استجابة لنداء الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم . ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ (الحج : 26- 28).

نعم انه توجه ميمون لحجاج أهل هذه الديار المباركة التي ربط الله مسجدها الأقصى المبارك عقدياً وتعبدياً بالمسجد الحرام ، من خلال معجزة الإسراء والمعراج بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ، فقال تعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ (الإسراء :1) . فحجاج فلسطين في سفرهم الميمون هذا يؤكدون على هذه المعاني العظيمة ، وذلك بالتزامن مع أدائهم لفريضة الحج التي فرضها الله على أمتنا الإسلامية ، فهم يتوجهون من القبلة الأولى وأرضها ، إلى القبلة الثانية وأرضها ، ومن المسجد الثاني في الأرض إلى المسجد الحرام الذي وضعه الله في الأرض أولا ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ (آل عمران: 96-97).

حقا إنها رحلة ميمونة تلك التي تنطلق من أرض فلسطين المباركة نهاية رحلة الإسراء ومنطلق المعراج إلى السموات العلا ، إلى أرض الحجاز الطاهرة . فهي رحلة بدايتها فلسطين بوابة الأرض إلى السماء ، ونافذة السماء إلى الأرض، إلى أرض الطهر والنور ، حيث اتصال وحي السماء بالأرض، والصدع بأمر الله ودعوته في تلك الرحاب الطاهرة والبقاع المقدسة .

إن توجه الحجيج من هذه الديار المباركة إلى ديار الحجاز الطاهرة ليؤكد كل هذه المعاني الإيمانية والعقدية والتعبدية ، كما يؤكد على أن هذه الديار المباركة ديار المسجد الأقصى وديار المسجد الحرام، هي صرة ديار الإسلام والمسلمين ، وهي أمانة في أعناق الأجيال على مدار الزمان لتبقى المناسك مشرعة أمام قاصديها والمساجد مفتوحة أمام زائريها ، وإلا كيف يمكن أن

نتصور حجا وعمرة وشدا للرحال إلى هذه المساجد دون المحافظة عليها في حوزة الإسلام والمسلمين ، ورد غوائل الزمان عنها . وحمايتها من العابثين والمحتلين .

وبمناسبة سفر الحجيج لأداء مناسكهم ومن قلب القدس وكوكبها الدري المسجد الأقصى المبارك نتوجه إلى الله العلي القدير أن يحفظ حجاج بيته الحرام من كل سوء، وأن يوفقهم للفوز بالحج المبرور والسعي المشكور والتجارة التي لن تبور ، وأن يعيدهم إلى أهلهم وديارهم سالمين غانمين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله وسلم وبارك على قدوتنا وأسوتنا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)

يوجه لما يقي من الإيدز

بمناسبة اليوم العالمي للإيدز- وباء نقص المناعة المكتسبة - نذكر أولاً أن الشرع الحنيف الذي بلّغه الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، عن ربه كان له موقف واضح من قضية المعاشرة الجنسية، التي تعتبر عند الانحراف بها عن مسارها المشروع، السبب الرئيس لوباء الإيدز، فالإسلام يقر بالغريزة الجنسية ولا يستقذرها، بل يحث على الاستجابة لدافعها كحاجة فطرية، ولكن وفق منهج واضح المعالم محدد الأطر. فيحث الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الناس - وبخاصة أصحاب العنفوان الجنسي وهم الشباب - على الزواج، ليخرجوا من حالة التوقان إلى حالة الاعتدال بمزاجهم الجنسي، فيوجههم قائلاً: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (صحيح البخاري /كتاب النكاح / باب قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج).

ويصنف الإسلام المعاشرة الجنسية خارج المجال المشروع، في دائرة الإثم الناتج عن تعدي حدود الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ (المؤمنون: 4-7)

فالزناة عادون، لأنهم ابتغوا بفروجهم سبيلاً نهى الله عنه بصريح العبارة، إضافة إلى وصفه بأبغض الصفات فهو فاحشة وسبيل سوء ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:32) ولا يقل عن شر الزنا وسوئه الشذوذ الجنسي الذي أشار القرآن الكريم إلى إحدى أشكاله في مواضع عديدة، وذلك خلال حديثه عن الأفعال المشينة لقوم لوط،

فالله وصف أفعالهم المشينة بالخبائث، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ﴾ (الأنبياء:74)، ولوط عليه السلام وصف شذوذ قومه بالفاحشة، فقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:80).

وضرب الله لنا مثلاً بالعقاب الذي سلطه على أصحاب الفاحشة من قوم لوط، فمحقهم به، جراء ما اقترفت أيديهم من شذوذ، فأمطرهم حجارة أهلكتهم، واقتلعهم بها من جذورهم، وجعلهم عبرة للعالمين.

والمعاقبة الربانية لأصحاب الفاحشة غير محصورة على الرمي بالحجارة المهلكة، أو بدمار المساكن والقرى على أصحابها، وإنما قد تأخذ أشكالاً أخرى، مثل أن يسلط الله عليهم أمراضاً فتاكة، كوباء الإيدز، فورد في الحديث قوله، صلى الله عليه وسلم: (... لَمْ تَظْهَرْ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الذِينَ مَضَوْا ...) (سنن ابن ماجة / كتاب الفتن / باب العقوبات) والمراد بالفاحشة هنا الزنى، في إشارة نبوية سبقت ظهور الإيدز وغيره من الأوبئة التي أفرز فعل الفاحشة وشيوعها في أوساط الناس كثيراً منها.

وقد أثبتت الوقائع والدراسات الطبية والإحصائية الحجم الهائل للمشكلات الصحية والإنجابية والاجتماعية الناجمة عن الانحراف الجنسي، فأشارت تقارير منظمة الصحة العالمية، إلى أن مرض الإيدز تسبَّب عام 1998 في وفاة مليونَيْ شخصٍ في إفريقيا من مجموع ستة ملايين شخص مصاب بهذا المرض في العالم، أي أن هذا الوباء يشكل أخطر قضية صحية تواجه إفريقيا.

مما يؤكد على أن الأخذ بالمنهج الشرعي الذي جاء به النبي ﷺ يتجاوب مع دوافع الفطرة، ويتناغم مع غرائز الإنسان من ناحية، ويكفل حماية الفرد والمجتمع من مخاطر الأوبئة التي تنجم

عن الانفلات بالغريزة على العواهن دون التقيد بضوابط السلامة العامة والخاصة، من ناحية أخرى.

وأرشد الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، إلى وسائل تساعد في مواجهة التوقان الجنسي عند تعذر تحقيق الاستجابة الطبيعية له بالزواج المشروع، فحث، صلى الله عليه وسلم، من لم يستطع الزواج على الصوم، كوسيلة تعبدية تساعد ـ إن أُديت على الوجه الصحيح، من سلامة النية، وحسن الإخلاص لله بهاـ على التخفيف من حدة التوقان الجنسي، فهي تشغل صاحبها بأمر الحاجة إلى الطعام والشراب ولا يبقى مُسيطراً عليه بالحاجة الجنسية وحدها، هذا بالإضافة إلى أن الصوم باعتباره عبادة يتوجه بها الصائم إلى ربه فهي تذكره برقابة الله وحسابه وجزائه، وتشكل بالتالي مانعاً له من الانحراف عن الصراط السوي في تعامله مع دوافعه الغريزية وفي انتقائه نوع استجابته لها.

ولم يقف الرسول، صلى الله عليه وسلم، عند الحث على الزواج والنهي عن الفاحشة كسبب رئيس لوباء الإيدز، بل أصدر أوامره بصفته الولي العام لأمر الرعية بمعاقبة مرتكب الفاحشة جلداً إن لم يكن محصناً، ورجماً إن كان محصناً، تنفيذاً للتشريع الرباني الموحى إليه به بهذا الخصوص، وكان من هديه، صلى الله عليه وسلم، أن لا ينظر إلى العقوبة إلا بمنظار وأد الفاحشة، ودفع الضرر الناتج عنها، (فقد جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى اللّه عليه وسلم فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فقَالَ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فاسْتَغْفِرْ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ ..... وكرر ذلك ثلاثا والنبي، صلى اللّه عليه وسلم، يقول له مثل ذلك، حَتَى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: فِيمَ أُطَهِّرُكَ. فقَالَ: مِنْ الزِّنَا فسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وسلم أَبِهِ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فقَالَ أَشَرِبَ خَمْرًا فقَامَ رَجُلٌ فاسْتَنْكَهَهُ فلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ. قَالَ: فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللّه عليه وسلم: أَزَنَيْتَ فقَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.....
ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنْ الْأَزْدِ فقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فقَالَ وَيْحَكِ ارْجِعِي فاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ وَمَا ذَاكِ قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنْ الزِّنَا فقَالَ آنْتِ قَالَتْ نَعَمْ فقَالَ لَهَا حَتَى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكِ قَالَ فكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ حَتَى وَضَعَتْ قَالَ فأَتَى النَّبِيَّ صَلَى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَدْ وَضَعَتْ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَ إِذًا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا). (صحيح مسلم / كتاب الحدود / باب من اعترف على نفسه بالزنا)

وفي مقابل الموقف الحازم للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حيال الفاحشة، التي تتسبب في انتشار الأوبئة والأمراض، فإن الهدي النبوي تضمن حثاً على بعض الأمور التي اكتشف العلماء لاحقاً أهميتها في مجال الوقاية الصحية، فالختان مثلاً يشكل إحدى وسائل الوقاية من الإيدز كما يؤكد كثير من العلماء، وطالبت منظمة الصحة العالمية وبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز بإدراج ختان الرجال ضمن إستراتيجيات الوقاية من نقل فيروس الإيدز، بعد أن أكدت دراسات طبية أن ختان الرجال يخفض احتمال نقل هذا الفيروس من المرأة إلى الرجل، ونسبت هذه الاستنتاجات والتوصيات لعملية تشاورية دولية نظمت في سويسرا.

ومعلوم أن الختان من سنن الفطرة، عن أبي هريرة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (الفطرة خمس : الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب) (صحيح مسلم / كتاب الحدود / باب من اعترف على نفسه بالزنا)

فالنبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، جاء بهدي لَمْ يَدَعْ خيراً إلا حث عليه، ولم يترك شراً إلا حذر منه وأمر بتركه، وهاهي الأيام تخبر بأحداثها وأخبارها عن سلامة الدين الذي بلغه وسلكه النبي الأسوة، صلى الله عليه وسلم، فهو منهج قويم وصراط مستقيم، ورحمة للعالمين، هدانا الله للأخذ به، والعمل وفقه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وقدوتنا محمد وصحابته الغر الميامين.

(يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)

ونقف على هدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في العشر الأولى من ذي الحجة فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي، صلى الله عليه وسلم :(مَا مِنْ أيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أحَبُّ إلى اللّهِ مِنْ هَذِهِ الأيَّامِ؛ يَعْنِي أيَّامَ العَشْرِ، قَالوا يَا رَسُولَ اللّهِ: وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ ؟ قالَ: وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ) (سنن أبي داود / كتاب الصوم / باب في صوم العشر) .

إنه الهدي النبوي الشريف يوجه الأمة إلى اغتنام أوقاتها في عمل الطاعات والخير، وإن من الأوقات ما جعل الله له ميزة وخصوصية في مضاعفة ثواب العاملين فيها، ومن هذه الأوقات أو الأيام والليالي؛ الأيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة . هذه الأيام والليالي التي أقسم الله بها منبهاً إلى فضلها وخيرها فقال عز وجل: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥﴾ (الفجر: 1-5).

ولله عز وجل أنْ يُقسم بما شاء من مخلوقاته ولا يحق لغيره أن يقسم إلا به تعالى الله سبحانه وتقدست أسماؤه وصفاته وما أقسم الله بهذه الأوقات فجرها وليلها وشفعها ووترها إلا لأهميتها وبيان فضيلة العاملين فيها .

فالفجر يتبعه النهار الذي يؤدي فيه المسلم صيام الفرض أو صيام النافلة، وقد حث الرسول الأكرم، صلى الله عليه وسلم، على صيام هذه الأيام تطوعاً وبخاصة صيام يوم عرفة فقد جاء عنه، صلى الله عليه وسلم، في صيام عرفة: (يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ) (صحيح مسلم/ كتاب الصيام / باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم).

ويوم عرفة هو يوم الوتر من العشرة الأولى من ذي الحجة، وفي هذا اليوم العظيم يقف حجاج بيت الله الحرام على جبل عرفات استجابة لأمر الله لهم بأداء فريضة الحج؛ إذ الوقوف

بعرفة ركن من أركان هذه الفريضة لا تتم بدونه .كما يعم فضل الله تعالى عباده في هذا الموقف فيغفر ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم،فقد ورد في الحديث الشريف: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ فَيَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا) (مسند أحمد / أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما).

وإن الشيطان في هذا اليوم يقف مدحوراً محسوراً نادماً لما يرى من سعة رحمة الله بالعباد وتجاوزه عن ذنوبهم . فقد ورد في الحديث الشريف ، (مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنْ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزَعُ الْمَلَائِكَةَ) (شعب الإيمان / الخامس والعشرين من شعب الإيمان ـ و هو باب في المناسك / الوقوف يوم عرفة بعرفات و ما جاء في فضله و الأصل في رمي الجمار).

أخي المسلم؛ إن هذه الأيام من مواسم الطاعة والخير والبر والمغفرة، فحري بك وبكل ذي عقل يدرك مرامي هذا القسم الإلهي العظيم بهذه الأيام وأوقاتها أن يقبل على الله بطاعة وتوبة صادقة مخلصة؛ عسى الله أن يغفر له ذنبه ويتجاوز عن سيئاته، فهو الكريم الذي يرجى عطاؤه ونواله، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات حتى ولو أسرف العبد على نفسه فهو جل جلاله القائل (۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الزمر:53)

إن هذه الأيام من خواص الله في دهره، وإن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد صرح الحديث الشريف بأن فضل العمل في هذه الأزمنة المخصوصة يفوق أجر الجهاد، ومعلوم كم هو أجر الجهاد في سبيل الله، ويكفي أن نذكر حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي جعل الجهاد ذروة سنام الإسلام فقال: (ذِرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه) .

وجعل الغدوة أو الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، فقال: (لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ يَدِهِ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ

مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)

(سنن الترمذي / كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله / باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله).

فانظروا يا أولي الألباب إلى فضل الله الواسع في هذه الأيام المباركة من شهر ذي الحجة التي جعلها الله ميقاتاً زمانياً لأداء فريضة الحج وأداء سائر الطاعات كصيام أيامها وقيام لياليها والإكثار من عمل الخير فيها .

فاجتهدوا في هذه الأيام لإدراك عفو الله تعالى بمزيد من الطاعة والتوبة والاستغفار، واعزموا على ترك المعاصي والآثام وبادروا بالأعمال الخيرة، فإن لربكم من دهركم نفحات، فتعرضوا لنفحات الله في هذه الأيام المباركة، عسى الله تعالى أن يعفو عنا ويتقبلنا بقبول حسن عنده، ويدخلنا في رحمته في هذه الأيام ولياليها المباركة التي أقسم الله تعالى بها .

ولنأخذ جميعاً بهدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي حثنا على العمل الصالح في هذه الأيام ، عسى الله تعالى أن يفرج كربنا ويوحد صفنا ويتقبلنا في عباده الصالحين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة وعلى آله وأصحابه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

(مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)

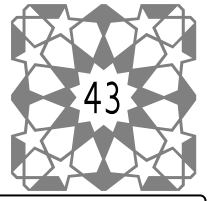

5/ذو الحجة/1428هـ وفق 14/12/2007م

في عيد الأضحى

ونقف على هدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، في يوم الأضحى المبارك، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يضحي، وكان يتولى ذبح أضحيته بنفسه، ففي الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه قال: (ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ) (صحيح البخاري / كتاب الأضاحي / باب التكبير عند الذبح).

إنه هدي نبوي شريف جدير بالأمة الإسلامية أن تتبعه وتتأسى بصاحبه، صلى الله عليه وسلم، في يوم عيدها الأضحى، هذا العيد الذي يأتي متوجاً عبادة الحج؛ الركن الخامس من أركان الإسلام التي بني عليها هذا الدين العظيم، وقام بنيانه شامخاً عالياً. ففي هذا اليوم المبارك يرمي الحجاج جمرة العقبة الكبرى، ثم ينحرون هديهم ويطوفون بالبيت العتيق؛ الذي أمرنا الله بشد الرحال إليه وقصده في أداء فريضة الحج، فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ (الحج : 27-29). كما أن الأضحية سنة أبينا إبراهيم وفداء سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام. وما أجمل الحكمة وأجلها في هذا الفداء العظيم، والتضحية الباهرة التي تحلى بها رسولان كريمان وهما يسلمان بأمر الله ويستسلمان

لقضائه وحكمه، فقد قص علينا كتابنا الكريم هذا البلاء المبين للسيدين الكريمين إبراهيم وإسماعيل.

فقد رزق الوالد الشيخ الجليل بولده ـ الصابر المستسلم لأمر الله ـ، وقد بلغ من الكبر عتياً، ومع كل الحضور القوي لعواطف الأبوة، وحنان البنوة، إلا أن أمر الله هو النافذ والمطاع في هذا الامتحان والابتلاء، فالولد ينصاع لأمر الله بكل الصبر والقبول والرضا، والوالد يبدأ في مراحل التنفيذ ليضحي بولده امتثالاً لأمر الله.

ولعل آيات الكتاب المبين خير من صورت هذا المشهد الجلل وبينته، ورسمت تلك الصورة البهية والموقف العظيم؛ موقف التضحية والفداء من الذين يصدعون بأمر الله، فالله يقول عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الصافات:99-107). وقد فدى الله الذبيح إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم، فكانت الأضحية سنة أبينا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام.

وهي كذلك سنة سيدنا ﷺ الذي أنزل عليه ربه تعالى قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر:2).

فكانت صلاة العيد سنته المؤكدة التي يأتي بها في أول أعماله في يوم النحر ، ثم ينحر أضحيته، وكان يتولاها بنفسه، فقد روى البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: (إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ مَنْ فَعَلَهُ فَقَدْ أَصَابَ

سُنَّتَنَا وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلُ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ وَقَدْ ذَبَحَ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي جَذَعَةً فَقَالَ اذْبَحْهَا وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ) (صحيح البخاري / كتاب الأضاحي / باب سنة الأضحية وقال ابن عمر هي سنة ومعروف).

والأضحية شعيرة من شعائر الله تعالى، علينا أن نهتم بها، ونقيمها على وجهها الأكمل، باختيار الأضحية الطيبة التي تتحقق فيها شروط الأضحية من حيث السن، ووفرة اللحم، وطيب النفس بها، تأسياً بهدي النبي، صلى الله عليه وسلم،، والله تعالى يقول : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ (الحج : 32)، وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (الحج:37).

وأما الأضحية التي هي من شعائر الله يوم العيد فإنها لا تكون إلا من الأنعام، وهي محصورة في الإبل والبقر والغنم، وقد تعرض الفقهاء لشروط الأضحية؛ من حيث السن والسلامة من العيوب، وعلى من تجب من المسلمين المكلفين؛ من حيث شروط الإسلام والبلوغ والإقامة والقدرة، على تفصيل في المذاهب الفقهية، حيث القول بأن الأضحية سنة مؤكدة أو واجبة ، وعلى أي حال فالأضحية سنة مؤكدة برأي جمهور الفقهاء لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، حافظ عليها مدة إقامته في المدينة المنورة كما روى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: (أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ يُضَحِّي) (سنن الترمذي / كتاب الأضاحي عن رسول الله / باب الدليل على أن الأضحية سنة).

ويفهم من قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفعله أن الأضحية سنة مؤكدة حافظ عليها النبي عليه الصلاة والسلام إحياءً لسنة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي باقية في أمته الإسلامية. هذا وإن في الأضحية والالتزام بها حِكَمٌ كثيرة منها؛ التوسعة على الأهل والعيال والفقراء والمحتاجين في يوم العيد، لأن السنة في الأضحية أن يأكل المضحي وأهله منها، وأن يهدي ويتصدق ويدخر.ولا شك أن في إشاعة الخير في يوم العيد وسد خلة المحتاج هدفاً

اجتماعياً وخيرياً سعى إليه ديننا الحنيف، وحث عليه رسولنا الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي كان يبدأ يوم العيد بالصلاة ، ثم يعود ليضحي وينحر أضحيته بنفسه، ويأمر من لا يحسن الذبح أن يوكل غيره ويشهد أضحيته.

فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان ، وجعلنا ممن ينهج نهجه ويقتفي أثره،وتقبل الله منا ومنكم الطاعات.

(ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ)

يحثنا على طلب الدعاء من الحاج

ونقف على هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، في تحية الحاج والسلام عليه فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا لَقِيتَ الْحَاجَّ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَصَافِحْهُ وَمُرْهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ) (مسند أحمد / مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما).

إنه توجيه نبوي كريم في استقبال الحاج وتحيته والسلام عليه وطلب الدعاء منه، لأنه كما أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، مغفور له، وهذه كرامة من الله تعالى لمن أدى الحج على وجهه الأكمل، وأقام فرائضه وواجباته وسننه وآدابه.

فالله يقول: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الحج:27)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: 97).

والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خطبنا يعني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، قال : فقام الأقرع بن حابس فقال :في كل عام يا رسول اللّه؟ قال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، أو لم تستطيعوا أن تعملوا بها، فمن زاد فهو تطوع) (مسند أحمد / مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه)، ويعلم، صلى الله عليه وسلم، الناس كيفية أداء هذا الحج بقوله (خذوا عني مناسككم) (فتح الباري لابن حجر).

ويخبرنا، صلى الله عليه وسلم، أن من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من حجه خالياً من الذنوب كيوم ولدته أمه لما ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال:

(سمعت رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، يقول: من حج هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه) (صحيح البخاري / أبواب الإحصار وجزاء الصيد / باب قول الله فلا رفث).

فهذا الحاج الذي غفر الله له ذنوبه وتجاوز عن سيئاته، وعاد نقياً من الذنوب طاهراً من كل المعاصي كما يولد الطفل البريء على الفطرة، وهو صفحة بيضاء لم يكتب عليها شيء بعد، ولم تسود بذنب أو معصية، وهكذا حال الحاج بعد عودته من أداء فريضة الحج حيث غفران الذنوب والتجاوز عن السيئات.فهو كذلك صفحة بيضاء بلا ذنب وبلا معصية، فقد أنعم الله بفضله على الحجيج بعفوه وتجاوزه عن ذنوبهم، خاصة في وقفة عرفة حيث يدنو الله تعالى من الحجاج، ويباهي بهم ملائكته ويغفر لهم ويتجاوز عن ذنوبهم.

فقد ورد عن النبي، صلى الله عليه وسلم،: (ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ ، منه يوم عرفة ، وما ذاك إلا مما يرى من تنزيل الرحمة وتجاوز اللّه من الذنوب ، إلا ما رأى يوم بدر) (شعب الإيمان / الخامس و العشرين من شعب الإيمان - و هو باب في المناسك / الوقوف يوم عرفة بعرفات و ما جاء في فضله و الأصل في رمي الجمار)، حتى ذهب كثير من العلماء أنه في يوم عرفة تغفر الذنوب حتى الدماء، وهذا من فضل الله تعالى على حجاج بيت الله الحرام الذين أتوا شعثاً غبراً ضاحين طاعة لله واستجابة لأمره.

فحري بنا أن نتبع هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، في استقبال الحاج والسلام عليه وطلب الدعاء منه، لأنه قريب عهد بمغفرة الله تعالى لذنوبه وتجاوزه عن سيئاته، وهو مؤهل أن يستجيب الله دعاءه.

ولذلك حثنا النبي، صلى الله عليه وسلم، على السلام على الحاج ومصافحته،وطلب الدعاء منه، لأن الحاج كما أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، مغفور له.

ومن كان كذلك فإن قبول دعائه واستغفاره مؤكد الإجابة عند الله ، فهو، جل شأنه، الذي تفضل وتكرم على الحاج بمغفرة الذنوب وطهارته من المعاصي، وهو الكريم الذي يجيب دعاءه ، ويسمع نداءه، ويلبي حاجته، ويكرم من دعا لهم بالمغفرة.

فحاشاه تعالى أن يرد راجياً للخير أو داعياً بالمغفرة لمن أيقن أن الله تعالى يتجاوز عن السيئات ويغفر الذنوب جميعاً، ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وما من شك أن من رحب بالحاج وحياه بالسلام، وصافحه وهنأه بسلامة عودته، وطلب الدعاء منه إنما يفعل ذلك ابتغاء رضوان الله وطلباً لرحمته واقتداءً بهدي نبيه، صلى الله عليه وسلم، بالتوسل إلى الله تعالى بدعاء من غفر الله له.

أما وقد عاد الحجيج إلى ديارهم بعد أداء الفريضة، ومنهم من لا زال في طريق العودة، فحري بنا أن نسارع إلى السلام عليهم وتحيتهم وتهنئتهم بسلامة العودة . والطلب منهم أن يدعوا لنا بالمغفرة عسى الله تعالى أن يتقبل دعاءهم، فنفوز بعفو الله وكرمه ومغفرته، لأننا حزنا شرف السبق بالسلام على الحاج وطلب استغفاره ودعائه لنا بالمغفرة والتجاوز عن الذنوب.

فلا تفوت أخي المسلم هذا الموسم من الخير فتوجه للسلام على حجاج بيت الله العائدين بالسلامة والإيمان والإسلام، طالباً دعاءهم لك بالمغفرة، فهذه هي التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة أن يلقى العبد منا مولاه وقد غفرت ذنوبه وبدل الله سيئاته حسنات ووسعته رحمة الله وعفوه. ولا يلتفت أحدنا إلى هدية الحاج بل يتوجه إليه طالباً الدعاء والاستغفار عسى أن يقع هذا الدعاء محل القبول من الله تعالى فيغفر ذنوبنا كما غفر ذنوب الحاج الذي نطلب دعاءه واستغفاره. وبفعلنا هذا نكون قد طبقنا هدياً نبوياً كريماً بالسلام على الحاج وطلب دعائه واستغفاره ، اقتداء بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، وتأسياً به فهو الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.

فصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنك أنت البر الرحيم.

وتقتضي حكمة الله وسنته (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً) (الأحزاب:62)، أن تكتب الهجرة على الأنبياء فراراً بالدين ونصرة له ، فيهاجرون بثبات وإصرار وعزم على حمل هذا الدين وتبليغ رسالة رب العالمين.

وقد كان لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم نصيب في الهجرة شارك فيه من سبقه من الرسل والأنبياء، علماً بأنه كان يعرف في بطون قريش بالأمين قبل الرسالة، وكان ينزّل منزل العز والمنعة في قومه بني هاشم.

إلا أن دعوة الحق التي أرسل بها وقام بتبليغها لقومه وللعرب حول مكة أو من يأتون للحج إلى بيتها العتيق لم تجد قبولاً عند عتاة مكة فراحوا يناصبونه العداء والبغضاء، ويؤذونه أحياناً أخرى، كما تعرض أتباعه من المسلمين والمؤمنين إلى أشد الأذى والعذاب على أيدي مشركي مكة وكفارها، لثنيهم عن هذا الدين وإرجاعهم إلى حظيرة الكفر والعناد.وما درى هؤلاء العتاة أن الرسالات الربانية ورسلها وأتباعها هم الغالبون في نهاية المطاف (وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾) (الصافات : 171-173).

وينتظر الرسول الأكرم ،صلى الله عليه وسلم، إذن ربه له بالهجرة ويستبقي أبا بكر، رضي الله عنه، الذي تولى تجهيز راحلتين تحملاه والنبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة المنورة بعد أن اتخذ الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام كل الاحتياطات اللازمة لنجاح هذه المهمة الجليلة ؛ مهمة الهجرة بالدين والرسول والدعوة.

فقد اختبأ في غار ثور شرقي مكة عن أعين المطاردين ، حتى إن أبا بكر رضي الله عنه بلغ به الحزن والخوف على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كل مبلغ ليقول: " **يا رسول اللّه لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا**" (صحيح البخاري /كتاب فضائل الصحابة / باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر)، ويطمئنه الرسول، صلى الله عليه وسلم، قائلاً: "**يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما**" (متفق عليه)، ليهدئ من روع أبي بكر الصديق وهو الحريص على سلامة النبي، صلى الله عليه وسلم، أكثر من حرصه على نفسه التي بين جنبيه. ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى العظيم بنصرة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه الصادق الصديق، يقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:40).

ويبدو حرص أبي بكر رضي الله عنه على سلامة النبي، صلى الله عليه وسلم، على مدى رحلة الهجرة، فكان أحياناً يمشي أمامه، وأحياناً يسير خلفه، وأحياناً من على جانبه لأنه يتذكر الطلب والرّصد فيريد أن يطمئن على سلامة الطريق التي يسلكها النبي، صلى الله عليه وسلم، مع يقين أبي بكر بأن عناية الله تحف رسوله وعينه ترعاه، ولقد أصاب القائل:

عناية اللّه أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

ألم يخاطب الله حبيبه ورسوله بقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة:67).

وتستمر الهجرة الشريفة في طريقها إلى المدينة المنورة محفوفة بعناية الله ورعايته حتى وصل الركب الكريم إلى مشارف المدينة التي يخرج أهلها لاستقبال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كل يوم حينما علموا بهجرة الرسول، صلى الله عليه وسلم،، فما أن ظهر الركب حتى انطلق أهل المدينة ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبا يا خير داع

ويتسابق الصحابة الكرام وخاصة الأنصار لاستضافة النبي، صلى الله عليه وسلم، كما استضافوا إخوانهم من المهاجرين، واقتسموا معهم لقمة العيش وشربة الماء. وينزل، صلى الله عليه وسلم، في قباء ويأمر ببناء أول مسجد في الإسلام؛ وهو مسجد قباء الذي تأسس على التقوى، فقال تعالى بحقه: (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة: 108) ويكمل، صلى الله عليه وسلم، مسيرة الهجرة المظفرة باستقراره في المدينة المنورة التي سميت طيبة لطيب المهاجر، صلى الله عليه وسلم ،إليها، كما استنارت بنور الرسول والرسالة (قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾) (المائدة :15- 16).

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ويبني النبي، صلى الله عليه وسلم، مسجده في المدينة ويشارك الصحابة في إقامة هذا البيت من بيوت الله؛ فكان المسجد بيت العبادة ومدرسة العلم ومركز القيادة ومجمع الأصحاب الكرام

ومركز استقبال الوافدين إلى خير الأنام.

وقد آخى النبي، صلى الله عليه وسلم، بين المهاجرين والأنصار إخاءً لم يعرف التاريخ له مثيلاً حيث تقاسم الأموال والدور والأرضيين ولقمة العيش، فغدا المسلمون أمة من دون الناس يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، فكانوا كما وصفهم الله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحشر: 8-9).

وينظم النبي، صلى الله عليه وسلم، الحياة المدنية والاجتماعية في المدينة فيكتب وثيقته المشهورة التي حفظت حقوق المسلمين، وكل رعايا الدولة الناشئة في ظل حكم الإسلام من اليهود وغيرهم.

وعلى هذه المرتكزات الإيمانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية قامت دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة رئيسها وحاكمها ومشرعها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورجالها وجندها الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار.

وبهذا الجند ومن تبعهم من أهل الإيمان كان الجهاد في سبيل الله لحماية الدعوة والرسول، وكانت عودة المهاجر المظفرة وصحبه الكرام إلى موطنهم مكة المكرمة بفتح عظيم ونصر مبين رفع راية الحق وأسقط راية الكفر ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:81) وارتفع نداء التوحيد من على بيتها المحرم معلناً أن مكة أم القرى دخلت

هي وأهلها في حوزة الإسلام والمسلمين. وجاء العفو النبوي الكريم عن أهل مكة متوجاً هذا الفتح العظيم؛ فقد وسعت أخلاق النبي الكريم مكة وأهلها وخاطبهم قائلاً : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) (أخرجه الألباني).

وهكذا عاد المهاجر إلى مكة ليعيد إليها الإيمان والإسلام والأمن والأمان، وليكون بيتها العتيق ملاذ المؤمنين على مدى الزمان.

فهلا اقتفى بنو قومي هدي المهاجر الكريم ليحافظوا على ديارهم وإخوانهم من أبناء المسلمين الذين تقطعت بهم السبل وتشردوا فوق أديم الأرض ، هائمين على وجوههم ينتظرون العودة التي طال أمدها إلى ديارهم.

ولعل بلادي فلسطين التي عاشت قصة الهجرة تروي لنا قصة العودة المظفرة ـ إن شاء الله ـ اقتداءً بالرسول الأسوة خير مهاجر وأكرم عائد، وقد توحدت أهداف شعبنا في الحرية والعزة والكرامة ونبذ الفرقة والخصام.

وصلى الله وسلم وبارك على صاحب الهجرة الشريفة وآله وأصحابه أجمعين ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين

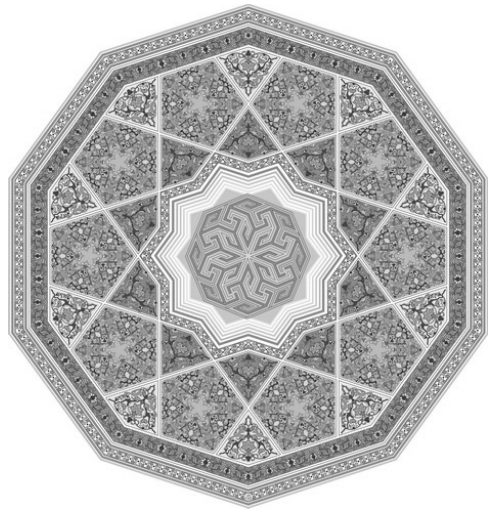

يحثنا على حب الوطن

وتستمر قريش بمناصبتها العداء والبغضاء للرسول، صلى الله عليه وسلم، ولدعوة التوحيد والإيمان بالله وحده وإفراده بالإلوهية والربوبية، وكانت قد عرضت عليه في بداية الدعوة كل زخارف الدنيا وزينتها من سلطان ومال وجاه؛ ليأتي الرفض القاطع من الرسول، صلى الله عليه وسلم، لكل هذا، فهو رسول رب العالمين؛ وعليه تبليغ الدعوة فقد خاطبه ربه عز وجل بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء : 214) ، وبقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل:1)، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ (المدثر:1-5).

وهو يحمل هذه الدعوة ليس لأم القرى ومن حولها، بل لكل العرب والعجم إنسهم وجنهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28) ، وهو رحمة عامة من الحق للخلق ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾(الأنبياء:107)، ومن كانت هذه مهمته كانت همته همة الرسل والأنبياء المكرمين، بل همة أولي العزم من الأصفياء والمرسلين، وهو، صلى الله عليه وسلم، إمامهم وصفوتهم، كل رسول أوصى قومه بنصرته والإيمان به وهو شاهد على أمته والخلائق يوم القيامة، وهو شفيعهم يوم الحشر والحساب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾(الشعراء:88-89)، إذ يشير كل رسول تذهب إليه الخلائق ليشفع لها

إلى غيره من الرسل الكرام حتى يصل الأمر إلى سيد الخلق أجمعين، وحبيب رب العالمين الذي أخر دعوته بهلاك المعاندين شفاعة لأمته يوم القيامة.

ومن كانت هذه رسالته ومهمته في الدنيا والآخرة، فلا يقبل بحال من الأحوال بأقل من تبليغ الدعوة ونشر الرسالة مهما كانت العقبات والمخاطر، فهو يتحمل الأذى من المشركين، ويحث أصحابه على الصبر والثبات ويبشرهم بالفوز في الدنيا والآخرة، فقد قال لآل ياسر وهم يتعرضون للعذاب على يد كفار قريش : (صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة) (مستدرك الحاكم / كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم / ذكر مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه).

ويوجه أصحابه للهجرة إلى أرض الحبشة لأن مليكها ينصر المظلوم، ويأتي إذن الله عز وجل له بالهجرة فيخرج بعد أن أحكم خطة الهجرة، وأخذ بكل الأسباب التي تقود إلى نجاحها ووقف مخاطباً مكة وطنه ومسقط رأسه التي شهدت دفقة النور، وأضاءت بالهدى الذي نزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، ومما جاء في مخاطبته لمكة:" ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك " (سنن الترمذي / كتاب المناقب عن رسول الله / باب في فضل مكة) ، ليبشره العزيز العليم بأنه عائد إلى وطنه وإلى بلده وإلى مكة فاتحاً منتصراً، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (القصص:85).

ولم يطل غياب المهاجر بل عاد في السنة الثامنة للهجرة في شهر رمضان المبارك ليفتح مكة المكرمة ويطهر بيتها المعظم من درن الأصنام وأوضار الأوثان.

إن الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو يحن إلى وطنه مكة، ويتألم للهجرة منها يعلم المسلمين ـ كل المسلمين ـ درساً في محبة الأوطان والتمسك بها وافتدائها بالغالي والنفيس وبالمهج والأرواح.

ومن رفعة شأن الوطن أن الله تعالى قرنه بالنفس فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ (النساء:66). وفي آية أخرى ساوى الله تعالى بين القتل والنفي من الوطن، وذلك في بيان حد الحرابة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ (المائدة:33)، فجعل نفيهم بمثابة قتلهم أو صلبهم ،وما ذلك إلا للألم الذي يحس به المنفي عن وطنه فهو قتل معنوي بحقه يوازي القتل الفعلي.

وقديماً قيل: من كرم المرء حنينه إلى وطنه، كما أغرق الشعراء والأدباء في وصف الغربة عن الأوطان والحنين إليها والاعتزاز بها والتغني بالدفاع عنها وعدوا ذلك من معالي الهمم ومكارم الأخلاق. وإنه لمن جوامع الكلم ما قاله الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو يمدح جبل "أحد" أحد جبال المدينة المنورة بقوله :" هذا جبل يحبنا ونحبه" متفق عليه.

فالوطن يبادل أهله المحبة وترابه شفاء سقم لهم يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم،: (بسم اللّه ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يشفى سقيمنا ، بإذن ربنا) (أخرجه البخاري).

فهلا استفاد المسلمون حيثما كانوا، وفي أي وطن من أوطانهم نزلوا من هذا الهدي الكريم الذي يتكرر مع كل ذكرى للهجرة، بل في جميع العام الهجري الذي يذكر المسلمين بحدث عظيم، ومناسبة جليلة كانت فيصلاً بين مرحلتين من مسيرة الدعوة الإسلامية في مكة حيث الإعداد الإيماني والتربية الربانية على العقيدة والإيمان والصبر والثبات ومكارم الأخلاق، وبهذا النفر هاجر النبي، صلى الله عليه وسلم، ليقيم في المدينة المنورة دولة الإسلام ومجتمع الإيمان الذي عاد بمجموع المسلمين المهاجرين والأنصار، ومن أسلم من قبائل العرب إلى مكة المكرمة

بالظفر والنصر والفتح الأكبر، فتحققت عزة الأوطان والإنسان، ورفع نداء التوحيد لأول مرة في تاريخ الدعوة الإسلامية من على ظهر بيت الله الحرام .

وجدير بنا أبناء هذه الديار المباركة؛ أبناء الوطن الجريح فلسطين؛ أن نجعل من حب الوطن والإخلاص في حمايته حافزاً لوحدتنا وجمع كلمتنا، وتغليب المصلحة العليا على كل المصالح الشخصية والفئوية بعد كل التضحيات الجسام التي قدمناها خلال مسيرة العطاء والفداء من مواكب الشهداء وقوافل الأسرى والجرحى وأنات الثكالى.

ألم يأن لكم أن تكفوا عن فجع الوطن بأبنائه ونكبته بفرقتكم، وتأخذوا بهدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي علمنا حب الوطن كما أخبرنا أن (**المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره**) (صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه)، وأن (**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**) (أخرجه مسلم).

وصلى الله وسلم وبارك على صاحب الهجرة الشريفة وآله وأصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين .

(المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره)

يصوم يوم عاشوراء

ونقف على هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، في يوم عاشوراء فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قدم النبي، صلى الله عليه وسلم، المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال : ما هذا. قالوا : هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال : فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب صيام يوم عاشوراء).

إنها النبوة المتصلة التي ترث بعضها بعضاً من لدن آدم، صلى الله عليه وسلم، إلى نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين ،عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا هو دين الله دين الإسلام والفطرة والتوحيد الذي بعث به كل الأنبياء والمرسلين، فالدين عند الله الإسلام،وبه بشروا وإليه دعا كل الأنبياء ورسل الله الكرام ، وإنما تعددت الشرائع بما يناسب كل أمة وفق أحوالها، وما يصلح هذه الأحوال مع تطور أوضاع وأحوال البشرية خلال حقب حياتها الطويلة الممتدة مع الزمان والمكان، فالله يقول: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى:13).

ويبدو واضحاً في هذا الهدي النبوي الشريف مدى الصلة بين أنبياء الله ورسله، فكلهم شاكرون الله على نعمه وعلى نجاتهم من عدوهم ليواصلوا الدعوة إلى الله وتوحيده وعبادته ويشكروه على نعمه التي منها حفظهم ونجاتهم من أعدائهم وتمكينهم في الأرض بعد إهلاك عدوهم ، فقد قال تعالى بحق فرعون الهالك ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ

فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيًا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ (يونس: 90). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُمۡ مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ (طه: 77-81).

وقد شكر نبي الله موسى عليه السلام ربه على هذه النعمة بنجاته وقومه من فرعون وبغيه وظلمه، فصام هذا اليوم الصالح الذي وافق يوم عاشوراء، شكراً لله تعالى على هذه النعمة والمنة العظيمة التي أسبغها الله عليه، والرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي يعرف منزلة رسل الله سبحانه وتعالى يبادر إلى صيام هذا اليوم ويحث المسلمين على صيامه شكراً لله سبحانه وتعالى، ثم وفاءً لرسول الله موسى عليه السلام الذي يرتبط به برباط الرسالة والدعوة إلى توحيد الله، فالرسل كما أخبر الصادق المصدوق عليه السلام بنو علات، أي أنهم يشتركون في أب واحد ومن أمهات متعددات وهذا كناية عن أن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام هي دعوة التوحيد والإقرار بالإلوهية والربوبية لله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

فمهما ابتعدت الرسالات عن بعضها بعضاً بحقب من الزمان يبقى رابطها قوياً ومتيناً؛ لأنها جاءت بأمر ثابت لا يتغير وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة والطاعة، لذلك كان جواب النبي،

صلى الله عليه وسلم، لليهود واضحاً " فأنا أحق بموسى منكم "وصام يوم عاشوراء وأمر بصيامه.

فصيام يوم عاشوراء من الصيام المشروع والمسنون في هدي نبينا عليه السلام، فقد صام النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا اليوم وحث على صيامه وكان يتحراه كما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم ، يوم عاشوراء، وهذا الشهر ، يعني شهر رمضان) (صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب صيام يوم عاشوراء).

وبهذا يتضح أن الشرائع الإلهية التي جاءت بدعوة التوحيد وهي أساسها وغاياتها، قد جاءت كذلك بتشريع العبادات التي تظهر التزام أتباعها بهذا التوحيد وعبادة الله وحده.

والصيام من العبادات التي لم تخلُ منها شريعة سابقة كما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:183).

وهذا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يحيي سنة موسى عليه السلام الذي صام يوم عاشوراء شكراً على نجاته وقومه من فرعون ليكون صيام يوم عاشوراء من سنة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، مثله مثل أيام كثيرة أخرى صامها النبي عليه السلام وحث على صيامها وهي من الصيام المندوب وفق السنة النبوية الشريفة كصيام يوم الاثنين والخميس أو الأيام البيض من كل شهر وصيام ستة أيام من شهر شوال، وصيام الأيام الأولى من شهر ذي الحجة والصيام في شهر المحرم وشهر شعبان.

إن هذا الهدي النبوي الشريف يكشف عن جانب مهم من علاقة هذا الدين وهذه الرسالة العظيمة بكل الرسالات السابقة وكيف لا وهي الرسالة الخاتمة لكل الرسالات والشريعة المهيمنة على سائر الشرائع وهي رسالة الله العامة إلى جميع البشرية تهدي إلى التوحيد الخالص وتنتظم الأنبياء والرسل الكرام جميعاً لا تفرق بين أحد منهم، كما تحتوي على كل ما فيه سعادة البشر

وخير الإنسانية في كتاب تكفل الله بحفظه وحماه من التزوير والتحريف والتبديل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ (الحجر:9).

وفي هدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، الذي حفظه ونقله عدول هذه الأمة منذ الصدر الأول للدعوة إلى يومنا الحاضر، وسيبقى نوره ساطعاً بحول الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وصلى الله وسلم وبارك على إمام الأنبياء والمرسلين وأسوة العاملين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

(ما رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم ، يوم عاشوراء، وهذا الشهر، يعني شهر رمضان)

ونقف على هدي النبي عليه السلام من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (مثل القائم على حدود اللّه والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) (صحيح البخاري / كتاب الشركة / باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه).

وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى منها قوله عليه السلام : (مثل المدهن في حدود اللّه والواقع فيها ، مثل قوم استهموا سفينة ، فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها ، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : ما لك ، قال : تأذيتم بي ولا بد لي من الماء ، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم) (صحيح البخاري / كتاب الشهادات / باب القرعة في المشكلات وقوله إذ يلقون أقلامهم).

إنه هدي عظيم من جوامع كلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يحث فيه الأمة على النهوض بالمسؤولية الجماعية فيما يتعلق بجميع مناحي حياتها فلا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية من دعاة للخير يبشرون به ويحثون على التزامه في إقامة الحدود ودرء المفاسد، وكبح جماح طرق الشر وإغلاق أبوابه، لأن الشر إذا ظهر في المجتمع أو الأمة ووجد من يدافع عنه ويحميه ويعمل على نشره، أوشكت الأمة أو كادت أن تهلك، لأن سنة الله في عقاب الأمم أن تؤخذ الأمة بخيارها وشرارها إذا وقع العذاب أو الانتقام، فالرحمة خاصة والبلاء عام والله تعالى

يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (الأنفال:25).

وقد أجاب الرسول، صلى الله عليه وسلم، سيدتنا عائشة أم المؤمنين حينما سألته قائلة: (يا رسول اللّه أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا ظهر الخبث) (سنن الترمذي / كتاب الفتن عن رسول الله / باب ما جاء في الخسف).

ولذلك وجب على الأمة وولاة أمورها وذوي الرأي فيها أن ينتبهوا إلى طرق الفساد والمنكر وأن يأخذوا على أيدي الساعين إلى نشره والمداهنين في حدود الله وأوامره ونواهيه حتى لا يقع، المحذور وهو هلاك الجميع ولات ساعة مندم.

ولو تصورنا حال الأمة كما هو المثال في الحديث الشريف بقوم ركبوا سفينة فكان قسم منهم في أعلى السفينة وقسم آخر في أسفل السفينة، وسمح لأفراد القسم السفلي من السفينة أن يحدثوا خرقاً ولو كان ثقباً صغيراً في جسم السفينة، فإن المحقق تدفق الماء إلى داخل السفينة، ومن ثم هلاك الجميع. ومصدر الهلاك إنما جاء من خلال تصرف فردي بدعوى إحداث الخرق في نصيبه، وهذا من حقه ويقع ضمن حريته الفردية ، والأمر ليس كذلك بحال؛ فالحق الفردي أو المسؤولية الفردية يجب أن تتقيد بالحق العام والمسؤولية الجماعية، وإلا هلك الطائع والمسيء، لأن المسؤولية الجماعية تقتضي الأخذ على يد المفسد حتى لا تقع الطامة ويؤخذ الجميع بجريرته.

إن حال أمتنا الإسلامية يوم افترقت دولاً وشعوباً وقوميات مختلفة تعيش كل دولة منها ضمن حدود مصطنعة تدافع عنها ولا تسمح بخرقها، وترى في اجتياز هذه الحدود بلا إذن منها اعتداءً على سيادتها، حتى لو كان الداخلون إلى هذه الحدود أو الدولة من بني جلدتها، أو من أتباع دينها الواحد.

ولما عم هذا الحال في الأمة وتخلت عن المسؤولية الجماعية في حماية مقومات وجودها، هذه المقومات التي يأتي على رأسها هذا الدين العظيم الذي تنبثق منه كل أنظمة حياة الأمة في جميع

مجالاتها العقدية والتشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. وراح كل شعب من شعوب الأمة ودويلاتها يتصرف وفق ما يراه مصلحة له، حتى لو أدى ذلك إلى خرق سفينة النجاة للأمة دون النظر إلى النتائج المهلكة والمترتبة على هكذا تصرف فردي أملته النظرة الضيقة والأنانية الفردية التي لم تضع في الحسبان مصير مجموع الأمة.وكأن من فعل هذا (كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا) (النحل:92).

ولعل حال أمتنا اليوم يقدم شرحاً وافياً لهذا الهدي النبوي الشريف دون الحاجة إلى مزيد من التوضيح والبيان وضرب الأمثال، فلقد كثر الخارقون لسفينة الأمة بتعطيل إقامة الحدود، لا بل بتعطيل أحكام الشريعة الغراء التي هي في الحقيقة والواقع سفينة نجاة الأمة مما تعانيه من فرقة وضعف وضياع للبلاد والعباد، حتى أغرى هذا الوضع أمم الأرض بالطمع في خيراتنا وبلادنا، وكأن قدر شعوبنا أن تعيش الفقر والحرمان والتخلف لحساب شعوب أخرى من أمم المعمورة، التي جاءت غازية أو مستعمرة أو مستوطنة في بلادنا في ظل اتساع الخرق في واقع الأمة وحياتها.

لقد آن الأوان ودقت ساعة الخطر، لكي تنهض الأمة بمسؤوليتها الجماعية ،لترمم ما هدمته من قيم ونظم كانت ومازالت كفيلة بإصلاح شأن الأمة، ودفع البلاء عنها ولجم الفساد والمنكر والظلم والابتعاد عن المداهنة في تطبيق حدود الله وأوامره، والابتعاد عن نواهيه بالعودة إلى المعين الصافي لعقيدتنا السمحة وتحكيم شريعتنا الغراء التي أنقذت الأمة من الضلالة إلى الهداية، ومن الذل إلى العز ، ومن التشتت والفرقة إلى الوحدة والقوة. والتي ترسو بسفينة نجاة الأمة في شاطئ الأمان كلما أحاطت بها المخاطر والمخاوف، وذلك بمسؤولية جماعية واعية انطلقت من حس إيماني جسده قول النبي، صلى الله عليه وسلم،: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) (صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

فما أحوجنا هنا في فلسطين أرض الرباط والطهر والبركة، وما أحوج الشعوب العربية والإسلامية هناك في لبنان والصومال والسودان والعراق وأفغانستان وغيرها من ديار المسلمين إلى النهوض بالمسؤولية الجماعية على مستوى الدول والشعوب وتضافر جهود الأمة لحماية سفينة نجاتنا من اتساع الخرق، واستعصاء إصلاحه على اللاطيء وربان السفينة.

ولنا في هدي الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، خير أسوة وسبيل لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين ومن اقتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

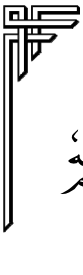

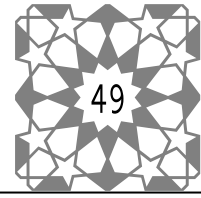

الرسول الأسوة

يبين منزلة الصبر والشكر

24/محرم/1429هـ وفق 1/2/2008م

في معرض حث الرسول، صلى الله عليه وسلم، على الصبر نقف على هديه الشريف فيما رواه صهيب بن سنان رضي الله عنه قال:قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : (**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له**) (صحيح مسلم / كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن أمره كله خير).

في هذا الهدي النبوي الشريف بشرى عظيمة للمؤمن؛ فالمؤمن في جميع أحواله على خير سواء أكان ذلك في السراء أم في الضراء، وهذه الميزة الكريمة لا تكون إلا للمؤمن كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. فهذه الحياة التي هي مستودع أعمال المؤمن، كما أنها سجل حياته الذي لا يغادر موقفاً أو نعمة أو مصيبة أو عملاً للمؤمن إلا حفظه له وسجله في سفر أعماله، هذا السفر الذي يدونه بالتفصيل الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من وكله الله من الملائكة الكاتبين الذين يحصون على العبيد أعمالهم (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾) (ق:18).

ويخرج هذا الكتاب يوم الحشر ليكون شاهداً على أعمال العبد، فطوبى للمؤمن الذي كل أمره له خير يوم يأخذ كتابه بيمينه مبتهجاً مسروراً (وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾) (الإسراء:13-14) ، (فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾) (الحاقة :19 – 32).

وهل الحياة أيها المؤمن إلا سجل لأعمالك، أو لما يواجهك فيها من النعم التي تستوجب الشكر، وفي شكرك على النعم خير كثير لك، أو ما يواجهك فيها من المصائب والمحن وفي صبرك على ما أصابك خير ، والصبر جزاؤه كبير، ألم يقل الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر:10).

ومدح الصابرين على البلاء بقوله (وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ) (البقرة:177). **كما حثنا الله تعالى على الاستعانة بالصلاة عند نزول المصائب فقال تعالى :** (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (البقرة :153).

وجعل ابتلاء المؤمن تمحيصاً لإيمانه فقال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ) (محمد:31) .

كما بشر سبحانه الصابرين على ما أصابهم من نقص أرزاقهم أو أنفسهم بالمغفرة والثواب، فقال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ

وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾) (البقرة :155- 157).

أفلا يكون أمر من كان كذلك عجباً فهو في السراء شاكر، والله وعد الشاكرين بالمزيد فقال تعالى : (لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ) (إبراهيم:7). وفي الضراء صابر (وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ) (البقرة:155) (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ) (الشورى:43)، وهكذا هي حياة المؤمن وحال المؤمن كما أخبر بذلك رسولنا وحبيبنا وأسوتنا عليه الصلاة والسلام تكون بين الشكر والصبر، وهل هناك ما هو أفضل من هذه الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها المؤمن؟ ولا يغتر مؤمن بأن منزلة الشكر هينة وهي في متناول اليد بينما منزلة الصبر شاقة ولا يستطيعها إلا من كان صاحب همة عالية وإيمان راسخ.

صحيح أن الشكر يكون على السراء ولكن النفس الإنسانية بطبيعتها ميالة إلى الخير وتحصيل المزيد منه ولكن مداخل الشيطان والنفس تنشط في حالة السراء والخير، وربما قادت الإنسان إلى البطر والزهو بهذه النعمة، أو السراء ونسب ذلك إلى نفسه واجتهاده فيقع في الخسران والإثم بدلاً من أن يحصل الثواب والشكر.

وكثير من أغرتهم النعم وأخرجتهم عن حد الاعتدال، فلم ينسبوا النعم إلى بارئها، بل نسبوها إلى أنفسهم فكان هلاكهم المحقق وفي ذكر قارون وبطره ما يشير إلى هذا الموقف.

فقد أنعم الله عليه بنعمة المال الذي ناءت بمفاتيح خزائنه العصبة أولو القوة، فقال تعالى: (۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾) (القصص:76-81).

فكانت النتيجة أن خسف الله به وبداره وأمواله، وكان من الهالكين الذين يضرب بهم المثل لكل من كان على شاكلته بإنكار الشكر على النعمة، فقد جرّت عليه السراء التي لم يشكر الله عليها الهلاك والبوار.

ولذلك وصف الرسول، صلى الله عليه وسلم، المؤمن بأن كل أمره له خير فهو شاكر حامد لله على النعمة وهنا يكون الثواب بقدر الشكر، كما أشار الله تعالى إلى حالة العبيد في تخلفهم عن الشكر على السراء فقال سبحانه : (وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ) (سبأ :13).

فلا يقوم لله بمقام الشكر إلا من ملأ الإيمان قلبه وسخر جوارحه في طاعة المنعم، وقد مدح الله بعض أنبيائه واصفاً إياهم بالشاكرين، فقال تعالى بحق سيدنا إبراهيم عليه السلام (شَاكِرًا

لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (النحل:121). وقال تعالى: (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء:90).

فليتنبه المؤمن الذي يريد أن يكون كل أمره خير إلى مقام الشكر وواجبه حتى لا تنسيه النعمة شكر منعمها فتزل به القدم ويحبط العمل.

كما أن الصبر على الضراء يحتاج إلى همة عالية وإيمان راسخ لمواجهة البلاء والصبر عند نزوله،إذ الصبر يكون عند الصدمة الأولى، ولذلك أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بأنه كما روي عن أم سلمة : (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم، أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها، إلا أجره الله في مصيبته. وأخلف له خيرا منها، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله، صلى الله عليه وسلم،، فأخلف الله لي خيرا منه، رسول الله، صلى الله عليه وسلم،). (صحيح مسلم / كتاب الجنائز / باب ما يقال عند المصيبة).

وقد روى أنس رضي الله عنه قال: (إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها "اتقي الله واصبري"، فقالت: وما تبالي بمصيبتي ! فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم،، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله ، لم أعرفك، فقال "إنما الصبر عند أول صدمة" أو قال: "عند أول الصدمة" . (وفي رواية: مر النبي، صلى الله عليه وسلم، بامرأة عند قبر) (صحيح مسلم / كتاب الجنائز / باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى).

فكونوا إخوة الإيمان كما أمرنا الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، من الشاكرين حين السراء والصابرين حين الضراء ، ليكن كل أمرنا لنا خير في دنيانا وآخرتنا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد الأسوة وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين، ومن اقتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

الرسول والسنة

ينهي عن التشاؤم

1/صفر/1429هـ وفق 2008/2/8م

ونقف على هدي المصطفى ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا عدوى ولا صفر ولا هامة . فقال أعرابي : يا رسول الله . فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها ؟ قال: فمن أعدى الأول؟. "وفي رواية : إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال : لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة فقال أعرابي : يا رسول الله") (صحيح مسلم / كتاب السلام / باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء).

في هذا الهدي النبوي الشريف يبطل رسول الله ﷺ عادات، ويبين فساد معتقدات كان العرب في جاهليتهم يعتقدون بها، لدرجة أن أحدهم كان يترك ما كان ينوي عمله إذا رأى أو سمع شيئاً من ذلك، كتشاؤمهم من رؤية طير معين، وسماع صوته كالبوم الذي كانوا يعتقدون بأنه إذا زعق عند بيت أحدهم فإنه يموت أو يصاب بمصيبة مما يدخل على أنفسهم التشاؤم والتطير، فيعود المسافر عن سفره أو يترك العامل عمله ظناً واعتقاداً منه أن الشر يأتي من هذه الأشياء، لذلك بين الرسول ﷺ أن الأمور كلها مقدرة من الله تعالى، وأن المخلوقات والأوقات كلها خاضعة لإرادة الله ﷻ وتقديره فلا يجري في هذا الكون إلا ما قدره الله وأراده وأظهره وفق قدرته وإرادته.

فالعدوى؛ وهي انتقال المرض من المصاب إلى المعافى، لا تكون إلا بتقدير الله تعالى، فالأشياء لا تعدي بطبعها وجبلتها ما لم يتعلق ذلك بتقدير الله وإنفاذ إرادته، ولذا قال بعض من خاطبهم الرسول ﷺ بذلك : (يا رسول الله : فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء ، فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها ؟ قال : فمن أعدى الأول ؟)، أي أن الذي قدر المرض على الأول هو الذي قدر إصابة الثاني وهكذا.

ومع ذلك فالرسول ﷺ يحث الناس على الأخذ بالأسباب واتخاذ سبل العناية والوقاية، وهذا كله لا يغني عن إرادة الله شيئاً ، ففي نهاية المطاف لا يقع إلا ما أراده الله تعالى، فيقول رسول الله ﷺ :" **لا يوردن ممرض على مصح..**" سنن أبي داود، وقوله ﷺ في هذا الباب:"... **و فر من المجذوم كما تفر من الأسد**" (صحيح البخاري / كتاب الطب / باب الجذام).

وينهى رسول الله ﷺ عن التطير والتشاؤم من المرئيات أو المسموعات التي كان العرب في جاهليتهم إذا رأوها كالبوم أو سمعوا صوتها يتركون حاجتهم.

ويوجهنا الرسول ﷺ إلى الخير ويعلمنا إذا ما رأينا شيئاً نكرهه أن نقول: (... **اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، و لا يدفع السيئات إلا أنت ، و لا حول و لا قوة إلا بك**) (أخرجه الألباني) ،كما يقول الرسول ﷺ : (... **اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك**) (مسند أحمد / أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما).

ومن العادات الجاهلية التي ما زالت تجد مكاناً لها في أوساط بعض مجتمعاتنا العربية والإسلامية عادة التطير والتشاؤم من شهر صفر فلا يقبلون على بناء أو زواج أو سفر في هذا الشهر، ظناً منهم واعتقاداً خاطئاً بأن هذا الشهر هو من أوقات الشؤم والأمر ليس كذلك، فالأوقات كلها من خلق الله وهو المدبر لها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ (التوبة:36). فالشهور والأيام بل الزمان والأوقات هي أوعية العمل الصالح، فعلى المسلم أن يقبل على هذا العمل في جميع أوقاته وبخاصة أن رسول الله ﷺ يقول :"ولا صفر" أي لا شؤم ولا تطير بهذا الشهر من أوقات الله تعالى الذي خلقها وجعلها أوعية لأعمال العباد ومواقيت لعباداتهم، وسجلاً لتاريخ الأمم وأحوالها من ذلك قول الله تعالى بحق شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾

(البقرة:185). وقوله تعالى بحق أشهر الحج ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (البقرة:197).

كما بين مواقيت الصلاة وجعل لها حيزاً في اليوم والليلة فقال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ (الإسراء: 78) وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ (الكهف:28).

كما جعل تعالى الليل والنهار والشمس والقمر مواقيت لأعمال الناس الدنيوية والأخروية، وحثهم على استغلالها والإفادة منها فقال تعالى : ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ (الإسراء:12).

وهكذا يبدو منهاج الله تعالى واضحاً لمن أراد أن يستغل الأوقات في الخير وخير العمل، فلا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة، بل مقاليد الأمور بيد الله وهو يصرفها حيث يشاء ﷻ بيده الخير، وهو على كل شيء قدير .

كما لا يكون الشؤم من نجم أو نجوم معينة فهي كذلك من خلق الله ولا دخل لها بالأقدار أو أحوال الناس، وقد بين الله تعالى بعضاً من منافعها فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:5).

وقال سبحانه : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأنعام:97) ، وقال كذلك: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ (النحل:16).

وأرشد الرسول ﷺ إلى الاستعاذة من شر الشياطين وغيرها بقوله: (إذا نزل أحدكم منزلا فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه) (صحيح مسلم / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره).

وأما الفأل الحسن، فإنه يعجب الرسول ﷺ وقد فسره عليه السلام بالكلمة الطيبة حينما سأله بعض الصحابة: (يا رسول الله وما الفأل؟ قال : كلمة طيبة) (أخرجه البخاري). وأفضلها قول لا إله إلا الله وما يتعلق بذكره تعالى، وكذلك كل كلام يدخل السرور إلى قلب الإنسان كالمريض حينما يقال له معافىً إن شاء الله، وقد سمت العرب اللديغ سليماً تفاؤلاً بالخير، والصحراء مفازة تفاؤلاً باجتيازها دون ضرر.

وهكذا يوجهنا الرسول الأسوة ، عليه الصلاة والسلام ، ويحثنا على عدم التشاؤم والتطير بالزمان أو الأشخاص أو الطيور أو النجوم وكل ما نرى أو نسمع، فكل ذلك من خلق الله ومقاديرهم بيد الله تعالى.

فالعقيدة السليمة أن تكون على يقين بأن ما قدره الله كائن ولا راد لقدر الله. فهو سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الفعّال لما يريد.

فلنأخذ بهدي النبي الرسول الأسوة ﷺ في جميع أمورنا، وفي هذا فلاحنا ونجاحنا في الدنيا والآخرة. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ (الحشر:7)

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأسوة وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به وسار على نهجهم وسنتهم إلى يوم الدين.

فهرس الآيات

الحلقة	السورة ورقم الآية	الحلقة	السورة ورقم الآية
1	الأنبياء (107)	12	التحريم (6)
	الأحزاب (21)	13	التحريم (8)
2	إبراهيم (48)		النور (31)
3	آل عمران (96)	14	البقرة (179)
	الإسراء (1)	15	لقمان (13)
	العلق (1)		القصص (59)
	المزمل (1)		غافر (17)
	المدثر (1-2)		هود (102)
	آل عمران (110)		الأنبياء (11)
4	الإسراء (81)		النساء (160)
	البقرة (114)		هود (117)
5	البروج (4-7)		البقرة (254)
	النور (55)		البقرة (229)
6	القصص (56)	16	البقرة (154)
	التحريم (10)		آل عمران (169-170)
	البقرة (44)		النساء (48)
	الفرقان (74)	17	النور (36)
7	آل عمران (31-32)		الجن (18)
	الأنعام (57)		المجادلة (11)
8	الإسراء (81)	18	البقرة (191)
9	لا يوجد آيات		البقرة (217)
10	الإسراء (70)		المائدة (32)
	الإنسان (8-9)		الحجرات (10)
	محمد (4)	19	الأنبياء (107)
11	الحجرات (10)		آل عمران (159)
	الحجرات (13)		التوبة (128)
	المائدة (32)		القلم (4)

	المائدة (16)		الفتح (29)
	التوبة (100)	28	البقرة (269)
	الفتح (18)		العلق (1-5)
	الفتح (29)		الرحمن (1-4)
20	النساء (36)		القلم (1)
21	الأنعام (57)		التوبة (122)
	آل عمران (110)		آل عمران (18)
	الاحقاف (20)		فاطر (28)
	المدثر (42-47)		الزمر (9)
	الرعد (11)		المجادلة (11)
22	المائدة (32)		يوسف (22)
	الفرقان (74)		البقرة (174)
23	آل عمران (14)		البقرة (159)
	البقرة (165)	29	البقرة (183)
	المائدة (54)	30	الاحقاف (20)
	الفتح (29)		الشورى (25)
	الحجرات (10)		الزمر (53)
	الحشر (9)		التحريم (8)
24	الانفطار (13)	31	لا يوجد آيات
	الأحزاب (23)	32	الأنفال (42)
	الأحزاب (24)		الأنفال (7)
	الأحزاب (35)		الأنفال (11)
	الواقعة (35-36)		الأنفال (12)
25	الإسراء (1)	33	الدخان (3)
	النجم (8-18)	34	البقرة (185)
	آل عمران (110)		آل عمران (97)
	البقرة (143)	35	البقرة (261)
	الشورى (13)		البقرة (183)
	الإسراء (9)		البقرة (185)
26	البقرة (144).	36	آل عمران (31)
27	النساء (48)		البقرة (7)
	الأنبياء (90)		محمد (24)

	الحج (46)		الصافات (171-173)
37	القلم (4)		التوبة (40)
	الأنبياء (107)		المائدة (67)
	آل عمران (159)		التوبة (108)
	الصافات (79-84)		المائدة (15- 16)
	الفرقان (63)		الحشر (8-9)
	الأحزاب (35)		الإسراء (81)
38	الروم (21)	46	الشعراء (214)
	النساء (19)		المزمل (1)
	النساء (21)		المدثر (1-5)
	الزخرف (18)		سبأ (28)
	النساء (34)		الأنبياء (107)
	النساء (35)		الشعراء (88-89)
	البقرة (230)		القصص (85)
39	البقرة (221)		النساء (66)
	النور (32)		المائدة (33)
	النساء (21)	47	الشورى (13)
	الأحزاب (33)		يونس (90)
40	آل عمران (97)		طه (77- 8)
	البقرة (197)		البقرة (183)
	الحج (26- 28)		الحجر (9)
	الإسراء (1)	48	الأنفال (25)
	آل عمران (96-97)		النحل (92)
41	المؤمنون (4-7)	49	ق (18)
	الإسراء (32)		الإسراء (13-14)
	الأنبياء (74)		الحاقة (19 – 32)
	الأعراف (80)		الزمر (10)
42	الفجر (1-5)		البقرة (177)
	الزمر (53)		البقرة (153)
43	الحج (27-29)		محمد (31)
	الصافات (99- 107)		البقرة (155- 157)
	الكوثر (2)		إبراهيم (7)
	الحج (32)		البقرة (155)
	الحج (37)		الشورى (43)

44	الحج(27)		القصص (76-81)
	آل عمران (97)		سبأ (13)
45	الأحزاب (62)		النحل (121)
	الأنبياء (90)		الإسراء (12)
50	التوبة (36)		الملك (5)
	البقرة (185)		الأنعام (97)
	البقرة (197)		النحل (16)
	الإسراء (78)		الحشر (7)
	الكهف (28)		

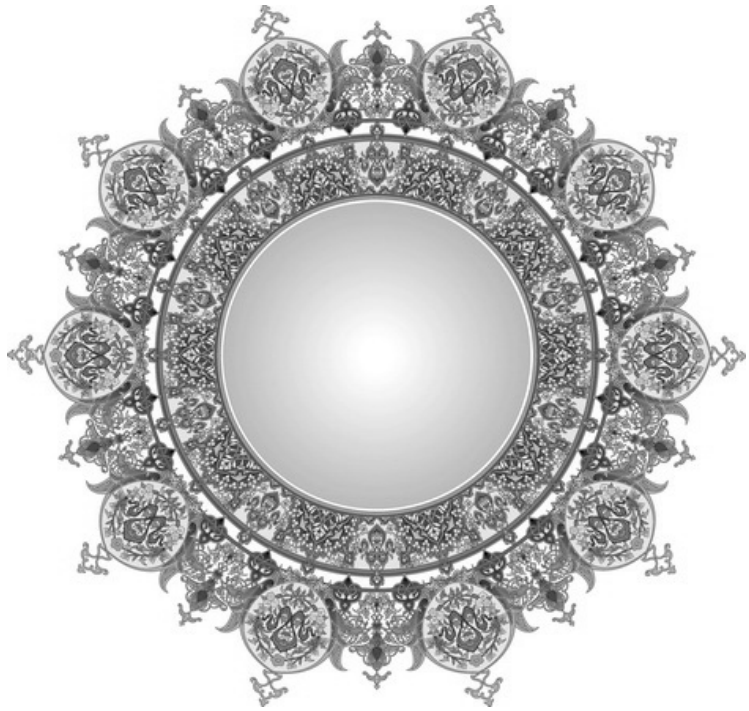

فهرس الأحاديث

1. لا يوجد أحاديث .

2. قلت يا رسول الله " أفتنا في بيت المقدس؟ .....سنن ابن ماجه ، باب إقامة الصلاة والسنة فيها / ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس .

3. يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض ؟ صحيح مسلم / باب المساجد ومواضع الصلاة ،.

4. لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ... صحيح البخاري /كتاب الجمعة /باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة .

4. إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد .... صحيح مسلم /كتاب الحج /باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .

5. شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه و هو متوسد بردة له في ظل الكعبة .... صحيح البخاري / كتاب الإكراه / باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر .

6. إن الله سائل كل راع عما استرعاه .... صحيح ابن حبان / كتاب السير / باب في الخلافة والإمارة.

6. كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..... صحيح البخاري / كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس / باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه.

7. إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله .. صحيح البخاري / كتاب المناقب / باب خاتم النبيين.

8. رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال: لا تغضب فردده مراراً- أي ردد قوله أوصني – قال لا تغضب" صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب الحذر من الغضب لقول الله والذين يجتنبون ....

8. كان خلقه القرآن مسند أحمد / حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

8. ما ضرب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شيئاً قط بيده، صحيح مسلم / كتاب الفضائل / باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهل....

8. إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده، (الراوي : أبو ذر الغفاري – خلاصة الدرجة : صحيح – المتحدث : البخاري – المصدر : الجامع الصحيح – الصفحة أو الرقم 2545).

9. لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ... مسند أحمد / حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي .

10. استوصوا بالأسارى خيراً (إسناده حسن – المحدث:الهيثمي – المصدر: مجمع الزوائد – الصفحة أو الرقم 6/89).

11. وكونوا ، عباد الله ! إخوانا. المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

12. إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.... صحيح البخاري / كتاب الأنبياء / باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم.

12. لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء ... موطأ مالك / كتاب حسن الخلق / باب ما جاء في الحياء.

12. استحيوا من الله عز وجل حق الحياء ... مسند أحمد / مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

12. الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا اله إلا الله وأضعفها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان " سنن النسائي (المجتبي) / كتاب الإيمان وشرائعه / باب ذكر شعب الإيمان.

13. إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ... صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم.

14. كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله وعرضه"..... صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه

14. إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت .... صحيح البخاري / كتاب الحج / باب الخطبة أيام منى.

15. انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً صحيح البخاري / كتاب الإكراه / باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه.

15. يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما. فلا تظالموا صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم.

16. يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين .... صحيح مسلم / كتاب الإمارة / باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين.

17. نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يقيم الرجل أخاه من مقعده صحيح البخاري / كتاب الجمعة / باب لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد في .....

17. اجلس فقد آذيت ... سنن أبي داود / كتاب الصلاة / باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة.

18. والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ..... صحيح مسلم / كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل....

18. لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم ..... سنن الترمذي / كتاب الديات عن رسول الله / باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن....

18. لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ..... صحيح البخاري / كتاب الديات / باب قول الله تعالى أن النفس بالنفس والعين...

18. فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ..... صحيح البخاري / كتاب العلم / باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب.

18. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله .... مسند أحمد / حديث شيخ من بني سليط رضي الله تعالى عنه / حديث شيخ من بني سليط رضي الله تعالى عنه.

18. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه..... سنن ابن ماجة /كتاب الفتن / باب حرمة دم المؤمن وماله.

19. يا أم المؤمنين ! ما كان خلق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ؟ قالت :كان خلقه القرآن مسند أحمد / حديث السيدة عائشة رضي الله عنها / حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

19. مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ... صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم...

20. ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ... صحيح البخاري،كتاب الأدب ، باب الوصاءة بالجار وقول الله واعبدوا الله ولا ....

20. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ....صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ ....

20. خير الأصحاب عند الله تعالى .... سنن الترمذي / كتاب البر والصلة عن رسول الله / باب ما جاء في حق الجوار

20. والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ! قيل من يا رسول الله؟ صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه يوبقهن يهلكهن...

21. يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها .....سنن أبي داود / كتاب الملاحم / باب في تداعي الأمم على الإسلام.

22. من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم... سنن الدارمي / أبواب متفرقة : في صفات النبي وفي العلم ونحوها / باب : من سن سنة حسنة أو سيئة.

22. الدال على الخير كفاعله"... مسند أحمد / حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه .

23. ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ... صحيح البخاري / كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان.

23. خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...صحيح البخاري / كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل أصحاب النبي ورضي الله عنهم ومن صحب .

23. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ... صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

24. إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ... صحيح البخاري / كتاب الأدب / باب قول الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله .

24. إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إن الله يحب فلانا ... سنن الترمذي / كتاب تفسير القرآن عن رسول الله / باب ومن سورة مريم

24. من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة....مسند أحمد / تتمة مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

25. أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، ... مسند أحمد / حديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه و سلم.

25. لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... صحيح البخاري / أبواب التطوع / باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة .

26. أفتنا في بيت المقدس قال ، أرض المحشر والمنشر.. سنن ابن ماجة / كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس.

26. لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي هذا)...صحيح مسلم / كتاب الحج / باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

27. ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة.... صحيح البخاري / كتاب اللباس / باب الثياب البيض.

28. - لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا ، فسلطه على هلكته في الحق... صحيح البخاري/ كتاب الزكاة / باب إنفاق المال في حقه.

28. مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ..... صحيح البخاري / كتاب العلم / باب فضل من علم وعلم.

28. من يرد الله به خيرا يفقه في الدين صحيح البخاري / كتاب المرضى / باب ما جاء في كفارة المرض وقول الله من يعمل .

28. من سلك طريقا يطلب فيه علما ، سلك الله به طريقا من طرق الجنة ..سنن أبي داود / أول كتاب العلم / باب الحث على طلب العلم .

28. من سئل عن علم فكتمه ....سنن أبي داود / أول كتاب العلم / باب كراهية منع العلم.

29. بني الإسلام على خمس...صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

29. قد جاءكم رمضان ، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ..... مسند أحمد / مسند أبي هريرة رضي الله عنه / مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

29. إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن .... سنن الترمذي / كتاب الصوم عن رسول الله / باب ما جاء في فضل شهر رمضان.

29. الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة .... مسند أحمد / أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

29. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب فضل الصوم.

29. إن في الجنة باباً يقال له الريان .... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب الريان للصائمين.

29. من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه مسند أحمد / تتمة مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

29. الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ...صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب فضل الصوم.

30. إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين .... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله .

30. إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ..... سنن ابن ماجة / كتاب الصيام / باب ما جاء في فضل شهر رمضان .

31. قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

32. يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك .... صحيح ابن حبان / كتاب التاريخ / باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن.

32. اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ..... سنن أبي داود / أول كتاب الجهاد / باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرن.

33. قال :قولي:اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني... سنن ابن ماجة / كتاب الدعاء / باب الدعاء بالعفو والعافية.

33. من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .... صحيح البخاري / كتاب الصوم/ باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا .

33. جاوز أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، السبع الأوسط من رمضان .... صحيح البخاري/ كتاب صلاة التراويح / باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر.

33. تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان... صحيح البخاري / كتاب صلاة التراويح / باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر .

33. كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ، إذا دخل العشر..... صحيح مسلم / كتاب الاعتكاف / باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

33. كان النبي، صلى الله عليه وسلم، أجود الناس .... صحيح البخاري / كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله.

34. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب فضل الصوم.

34. رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ... صحيح البخاري / كتاب العيدين / باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج .

34. كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يخرج إلى العيد ماشيا ويرجع ماشيا ...سنن ابن ماجة / كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ما جاء في الخروج إلى العيد ماشيا .

35. من صام رمضان . ثم أتبعه ستا من شوال . كان كصيام الدهر...صحيح مسلم / كتاب الصيام / باب استحباب صوم ستة أيام من شوال أتباعا.

35. من صام رمضان إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه.... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية وقالت .

35. جعل الله الحسنة بعشر أمثالها ، فشهر بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة ... سنن ابن ماجة / كتاب الأدب / باب فضل العمل.

35. لا يصوم عبد يوما في سبيل الله ، إلا باعد الله تعالى بذلك اليوم النار ..... سنن النسائي (المجتبي) / كتاب الصيام / باب ذكر الاختلاف على سفيان الثوري فيه.

35. صم يوما . ولك أجر ما بقي .. صحيح مسلم / كتاب الصيام / باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به .

36. إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات.... صحيح البخاري / كتاب البيوع / باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات.

36. ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه... سنن أبي داود / كتاب السنة / باب في لزوم السنة.

36. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه..... صحيح مسلم / كتاب المساقاة / باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

36. فمن رغب عن سنتي فليس مني ..... صحيح البخاري / كتاب النكاح / باب الترغيب في النكاح .

36. إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها .... المعجم الصغير / باب النون / من اسمه نوح.

36. ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله....صحيح مسلم / كتاب المساقاة / باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

37. من لا يرحم لا يرحم... سنن الترمذي / كتاب البر والصلة عن رسول الله /باب ما جاء في رحمة الولد.

37. طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم.... سنن أبي داود / كتاب النكاح / باب في ضرب النساء.

37. لا يفرك مؤمن مؤمنة... مسند أحمد / مسند أبي هريرة رضي الله عنه .

38. أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة... سنن ابن ماجة / كتاب الطلاق / باب كراهية الخلع للمرأة.

38. ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق ... سنن أبي داود / كتاب الطلاق / باب في كراهية الطلاق.

38. استوصوا بالنساء خيرا ؛ فإن المرأة خلقت من ضلع ....صحيح البخاري / كتاب النكاح / باب الوصاة بالنساء.

39. تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك ... صحيح البخاري / كتاب النكاح / باب الأكفاء في الدين وقوله وهو الذي خلق من.

39. تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم ..... سنن ابن ماجة / كتاب النكاح / باب الأكفاء.

39. إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه .... سنن الترمذي / كتاب النكاح عن رسول الله / باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينة فزوجوه.

39. إياكم وخضراء الدمن .... أخرجه الألباني.

40.لا يوجد احاديث

41. يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ .....صحيح البخاري /كتاب النكاح / باب قول النبي من استطاع منكم الباءة فليتزوج .

41. لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ... سنن ابن ماجة / كتاب الفتن / باب العقوبات.

41. يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي... صحيح مسلم / كتاب الحدود / باب من اعترف على نفسه بالزنا.

41. الفطرة خمس : الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب... صحيح البخاري / كتاب اللباس / باب قص الشارب .

42. مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ سنن أبي داود / كتاب الصوم / باب في صوم العشر.

42. يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ .... صحيح مسلم / كتاب الصيام / باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

42. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ...مسند أحمد / أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

42. مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ .... شعب الايمان / الخامس و العشرين من شعب الإيمان ـ و هو باب في المناسك / الوقوف يوم عرفة بعرفات وما جاء في فضله و الأصل في رمي الجمار.

42. ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه .

42. لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ....سنن الترمذي / كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله/ باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل الله.

43. ضَحَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ فَذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ ... صحيح البخاري / كتاب الأضاحي / باب التكبير عند الذبح.

43. إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ.... صحيح البخاري / كتاب الأضاحي / باب سنة الأضحية وقال ابن عمر هي سنة ومعروف.

43. أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ يُضَحِّي سنن الترمذي / كتاب الأضاحي عن رسول الله / باب الدليل على أن الأضحية سنة.

44.إِذَا لَقِيتَ الْحَاجَّ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَصَافِحْهُ .....مسند أحمد / مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما .

44. خطبنا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال.....مسند أحمد / مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه .

44. سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: من حج هذا البيت ... صحيح البخاري / أبواب الإحصار وجزاء الصيد / باب قول الله فلا رفث.

44. مَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ .... شعب الايمان / الخامس و العشرين من شعب الإيمان ـ و هو باب في المناسك / الوقوف يوم عرفة بعرفات وما جاء في فضله و الأصل في رمي الجمار.

45. يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا.... صحيح البخاري /كتاب فضائل الصحابة / باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر .

46. صبرا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة....مستدرك الحاكم / كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم / ذكر مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه.

46. ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك... سنن الترمذي / كتاب المناقب عن رسول الله / باب في فضل مكة.

46. وكونوا ، عباد الله ! إخوانا. المسلم أخو المسلم . لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

47. قدم النبي، صلى الله عليه وسلم، المدينة ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب صيام يوم عاشوراء .

47. ما رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم..... صحيح البخاري / كتاب الصوم / باب صيام يوم عاشوراء .

48. مثل القائم على حدود الله والواقع فيها... صحيح البخاري / كتاب الشركة / باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه.

48. مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها ، مثل قوم استهموا سفينة... صحيح البخاري / كتاب الشهادات / باب القرعة في المشكلات وقوله إذ يلقون أقلامهم.

48. يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا ظهر الخبث... سنن الترمذي / كتاب الفتن عن رسول الله / باب ما جاء في الخسف .

48. مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد... صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

49. عجبا لأمر المؤمن . إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن... صحيح مسلم / كتاب الزهد والرقائق / باب المؤمن أمره كله خير.

49. ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون.... صحيح مسلم / كتاب الجنائز / باب ما يقال عند المصيبة.

49. إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أتى على امرأة تبكي على صبي لها.... صحيح مسلم / كتاب الجنائز / باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

50. لا عدوى ولا صفر ولا هامة ... صحيح مسلم / كتاب السلام / باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء .

50. اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك..... مسند أحمد / أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

50. و فر من المجذوم كما تفر من الأسد... صحيح البخاري / كتاب الطب / باب الجذام.

50. إذا نزل أحدكم منزلا فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق... صحيح مسلم / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

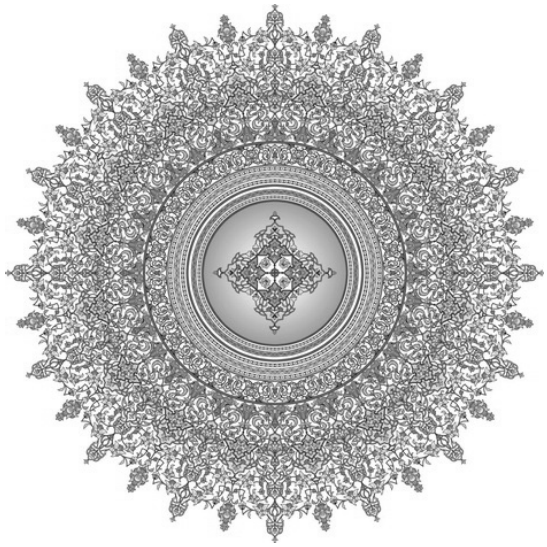

فهرس الكتاب

رقم الحلقة	الموضـــــــــوع	الصفحة
1	على درب الرسول صلى الله عليه وسلم	7
2	يبين مكانة بيت المقدس	9
3	يربط المسجد الأقصى المبارك بالمسجد الحرام	11
4	يأمر بشد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك	14
5	يبشر أصحابه	17
6	يبين أهمية التربية الأسرية	20
7	يوضح العلاقة بين الرسالات السماوية	23
8	بعث ليتم مكارم الأخلاق	26
9	يبشر أهل بيت المقدس بالظهور وقهر العدو	29
10	يشرع قانون معاملة أسرى الحرب	32
11	يحدد علاقات المسلمين بعضهم ببعض	35
12	يحض على خلق الحياء	38
13	يبين المفلس من أمته	41
14	يضع حدودا لعلاقات المسلمين	43
15	يدعو المسلم إلى نصرة أخيه المسلم	46
16	يوضح منزلة الشهداء عند ربهم	50
17	يعلم المسلمين آداب الجلوس	53
18	يحذر من زمان يكثر فيه القتل	56
19	من أخلاقه الكريمة	59
20	هديه في حق الجار	62
21	يحذر من تداعي الأمم	65
22	يحث على السنة النبوية الحسنة	68
23	يبين حلاوة الإيمان	71
24	يحث على الصدق	75
25	يختار الفطرة ليلة الإسراء والمعراج	78

26	يحث على إسراج المسجد الأقصى	82
27	يبشر أهل التوحيد بالجنة	85
28	يحث على طلب العلم	88
29	يبين ركنية الصيام	92
30	يخبرنا عن أبواب الخير في رمضان	95
31	يبشر الصائمين بفرحتين	99
32	في بدر	102
33	يعلمنا دعاء ليلة القدر	106
34	في العيد	109
35	يحث على صيام ستة من شوال	112
36	يحثنا على اتقاء الشبهات	115
37	يوصي بالنساء خيرا	118
38	ينهى النساء عن طلب الطلاق	122
39	يحث على اختيار الزوجة الصالحة	126
40	يبين فريضة الحج	130
41	يوجه لما يقي من الإيدز	134
42	يحثنا على العمل الصالح في العشر الأولى من ذي الحجة	138
43	في عيد الأضحى	141
44	يحثنا على طلب الدعاء من الحاج	145
45	المهاجر العائد	148
46	يحثنا على حب الوطن	153
47	يصوم يوم عاشوراء	157
48	يعلمنا المسؤولية الجماعية	161
49	يبين منزلة الصبر والشكر	165
50	ينهى عن التشاؤم	170
	فهرس الآيات	174
	فهرس الأحاديث	178

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصبحه أجمعين